جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

النداءات الإلهية في القرآن الكريم

الدكتور

خالد سعيد أحمد البسيوني

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي القدير، السميع البصير، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.. نادى عباده لأنهم خلقه، واستدعاهم إلى روضات طاعته لينالوا رحمته، وعزته في الدنيا والآخرة..

والصلاة والسلام على خير منادىً من ربه، وخير من لباه وأطاعه، محمد (ﷺ) وعلى آله، وأتباعه السائرين على هديه، الملبِّين لدعوته،..

وبعد،

فمن المعلوم أنَّ النداء في القرآن الكريم صورةٌ من صورِ بلاغته، ووجهٌ من أوجه بيانه، وطريقةٌ من طرق وعظه وإرشاده، ووسيلةٌ من وسائل تشريعاته ومنهجٌ من مناهج أوامره، ونواهيه، ونذارته، وبشارته، ووعده، ووعيده... الخ.

يقول الإمام الزمخشري (رحمه الله): "كلُّ نداءٍ في كتاب الله يعقبه فهمٌ في الدين، إمَّا من ناحية الأوامر والنواهي التي عُقدت بها سعادة الدارين، وإمَّا مواعظُ وزواجرُ وقصصٌ لهذا المعنى؛ كلُّ ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله، وقامت السموات والأرض به "هـ[1].

ولمَّا كان أمر النداء بهذه الأهمية فقد أردت أنْ أتناول دراسة هذا الموضوع، وجمع عناصره في هذا البحث المتواضع مقتصراً على النداءات الإلهية الواردة في كتاب الله تعالى مع ما قد يتصل بها من نداءات أخرى

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن "النوع الخامس والأربعون" ٢ – ٣٤٢ للإمام الزركشي. مكتبة دار التراث – القاهرة.

يتطلبها البحث. فأرجو الله – تعالى– أن يوفقني فيما قصدت إليه فإنه (ﷻ) نعم المولى ونعم النصير..

وقد قسمت هذا البحث إلى فصلين:

أما **الفصل الأول:** فيشتمل على تعريف النداء وبيان بلاغته، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف النداء وأدواته.

المبحث الثاني: بيان سرِّ مجيء القرآن الكريم بأداة النداء "يا"، وسرّ حذفها في بعض المواضع من القرآن الكريم.

المبحث الثالث: بيان معنى "أيْ "وحكمة ذكره في النداء، وكذا "ها" التنبيه وحكمتها.

وأما **الفصل الثاني: فيشتمل على بيان أنواع النداء في القرآن الكريم ومغزاه.**

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النداء التكويني.

المبحث الثاني: النداء التكليفي. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نداء الناس جميعاً.

المطلب الثاني: نداء الشعوب.

المطلب الثالث: نداء الطوائف.

المطلب الرابع: نداء الجماعة المحدودة العدد.

المطلب الخامس: نداء الأفراد أو الأشخاص.

والله أسأل التوفيق والسداد

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول
تعريف النداء وبيان بلاغته

بادئ ذي بدء فإنَّ مما استقرَّ لدى العلماء والباحثين، أنَّ التعريفات اللغوية والاصطلاحية لأيِّ موضوع ذو أهمية كبرى، إذ إنه في جميع الأحوال يعين على استحضار صورة الموضوع المراد دراسته في الذهن، ثم يبدأ الباحث في موضوعه وقد حدد، أو بمعنى آخر وقد فرغ من التعريفات المناسبة له.

وفي هذا الفصل من تعريف النداء وبيان بلاغته سنجد أن لتعريف النداء صلة مباشرة في استخراج كل المعاني البلاغية التي يشتمل عليها النداء في القرآن الكريم.

فمثلاً: اختيار حرف النداء (يا) ليكون هو حرف النداء الوحيد الذي أتى عليه النداء في القرآن له مغزاه البلاغي، ودلالته على المراد منه سواء أمراً أو نهياً، أو غير ذلك.

وكذلك مجيء (أيْ) و (هاء) التنبيه في النداء، وكذلك عندما يحذف هذا النداء.. كل ذلك مما له علاقة مباشرة بتعريف النداء، وأدواته.

وفيما يلي تفصيل ذلك من خلال المباحث التالية.

المبحث الأول

تعريف النداء وأدواته

النداء لغة: الدعاء بأيّ لفظ.

واصطلاحاً: طلب الإقبال بحرف نائب مناب "أدعو "لفظاً أو تقديراً[1].

والمراد بالإقبال: مطلق الإجابة فدخل (يا الله) ولا تناقض في (يا زيد لا تقبل) لأنَّ "يا" لطلب إقباله ليسمع النهي، فلم يتوجه له النهي إلا بعد إقباله لسماع النهي.

ولا ينادى في الحقيقة إلا المميِّز لأنه الذي تتأتى إجابته وأما غيره كـ(يا جبال) و (يا أرض) فاستعارة حيث شبه المنادَى بالمميِّز في الانقياد واستعارته في النفس له على طريق الاستعارة بالكناية، و"يا" تخييل.[2] وسيأتي بيان أكثر لمثل هذه النداءات في القرآن الكريم.

وما يهمنا ذكره في هذا المقام أنَّ النداء في حقيقته "**طلب الإقبال** وأنه قد يخرج من هذه الحقيقة إلى معانٍ مجازية كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم: (يا مظلوم) قصداً إلى إغرائه وحثه على زيادة التظلم وبث الشكوى (والاختصاص) في قولهم: (أنا أفعل كذا أيها الرجل) فـ(أيها الرجل) أصله تخصيص المنادى بطلب إقباله عليه، ثم نقل إلى معنى الاختصاص مجرداً عن معنى طلب الإقبال.. وحاصل ذلك استعمال الحرف في أعم معناه.. والاستغاثة نحو "يا لله" والتعجب نحو "يا للماء "والتحسر والتوجع كما في نداء الأطلال والمنازل

(١) المطول ص٤٣٠ للعلامة التفتازاني. ط – دار الكتب العلمية – بيروت، وحاشية الصبان على الأشموني ٣ – ١٩٧ مكتبة الصفا – ط: أولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: حاشية الخضري على ابن عقيل ٢-٧١. ط – الحلبي، وحاشية الصبان ٣-١٩٧.

والمطايا وما أشبه ذلك مما يشعر بأنّ هذا النداء يحقق مرجوّاً أو مأمولاً أو يدفع مكروها.."[1].

أمَّا أدوات النِّداء فهي كما ذكرها ابنُ مالك في ألفيته:

وللمنادى النّاءِ أو كالنَّاءِ "يا" * و "أيْ" و "آ "كذا "أيا "ثم "هيا"

والهمز للداني وَ "وا" لمن ندب * أوْ "يا" وغَيْرُ "وا" لدى اللبس اجتنب[2]

تلك هي أدوات النداء يتفاوت استخدامها حسب بُعْد أو قرب المنادَى من المنادِي لكن ما له التميز من هذه الحروف هو "يا" فهي الأفشى في العربية، والأكثر في استعمال أهلها الخالص عند النِّداء ولا يُقدّر عند الحذف غيرها،

(١) ينظر: مختصر المعاني ص ١٣٥. لـ/للعلامة التفتازاني. ط- دار الفكر- ط: أولى ١٤١١هـ، وحاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ١- ٣٤١. ط- جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م. والبلاغة العربية ١-٢٤١ لـ/ عبد الرحمن حَبَنَّكَة. ط- دار القلم. بيروت - ط: أولى١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) يقول ابن عقيل في شرح هذين البيتين من الألفية: "المعنى: لا يخلو المنادى من أن يكون مندوباً أو غير مندوب فإن كان غير مندوب فإمَّا أنْ يكون بعيداً أو في حكم البعيد كالنائم والساهي أو قريباً فإن كان بعيداً أو في حكمه فله من حروف النداء: "يا" و"أي" و"آ" ، و"أيا" و"هيا" ، وإن كان قريباً فله "الهمزة" نحو: "أزيد أقبل" وإن كان مندوباً؛ وهو المتفجع عليه، أو المتوجع منه، فله "وا" نحو"وازيداه" و"واظهراه" و"يا" أيضاً عند عدم التباسه بغير المندوب فإن التبس تعينت "وا "وامتنعت" يا" هـ.(شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ - ٢٥٦ ط - دار التراث - القاهرة. ط: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

وتتعين في نداء لفظ الجلالة، لبعد مكانته مع قربه الشديد منا (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ[1]).

وتتعين أيضاً في باب "الاستغاثة" نحو: يا لله. كما تتعين في نداء أيها وأيتها"[2].

ولم يأت في التنزيل المجيد النداء إلا بها ودعوى أنَّ الهمزة في قوله –تعالى–: **(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)**[3] الآية على قراءة من خفَّفَ الميم[4] هي حرف نداء[5]. دعوى غير صحيحة.. إذ

---

(١) سورة ق آية رقم: ١٦.

(٢) حاشية الخضري على ابن عقيل ٢– ٧١، ومغني اللبيب ٢– ٣٧٣ لـ/ ابن هشام. ط – المكتبة العصرية – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، والأساليب الإنشائية في النحو العربي/عبد السلام هارون. ص ١٣٧–ط – دار الجيل– بيروت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

(٣) سورة الزمر آية رقم: ٩.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وحمزة: (أَمَنْ) خفيفة الميم. وقرأ الباقون بالتشديد وهما سبعيتان متواترتان. (حجة القراءات لـ/ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة "أبو زرعة" ص ٦٢٠. ط– مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م، ومعاني القراءات ص٤٢٠. لـ/ محمد بن أحمد الأزهري، ط– دار الكتب العلمية– بيروت– الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٥) حمْل الهمزة في هذه القراءة على أنَّها حرف نداء هو قول الفراء حيث يقول: من قرأ مخففاً فمعناه: يا من هو قانت. والعرب تدعوا بألف كما تدعو بياء، فيقولون: يا زيدُ أقبل، أزيدُ أقبل... فيكون المعنى– على هذه القراءة – مردوداً بالدعاء كالمنسوق؛ لأنه ذكر الناسي الكافر ثم قصَّ قصة الصالح بالنداء، كما تقول في كلام: فلان لا يصوم ولا يصلى، فيا مَنْ يصوم ويصلي أبشر. (معاني القراءات ص ٤٢٠) ويذكر ابن هشام في المغني أنَّ قول الفرَّاء يقربه أمران: أحدهما: سلامته من دعوى المجاز، إذ لا يكون=

الهمزة في الآية هي همزة الاستفهام المحذوفة المعادل. والتقدير: أمَنْ هو قانت "خير" أم هذا الكافر، أي المخاطب بقوله – تعالى–: **(قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)**[1] فحذف شيئان: معادل الهمزة والخبر[2].

=الاستفهام منه – تعالى– على حقيقته. ثانيهما: سلامته من دعوى كثرة الحذف. لكن يبعد هذا القول – كما ذكر ابن هشام أيضاً – أنه ليس في التنزيل نداء بغير"يا".(مغني اللبيب١–١٣).

١– سورة الزمر آية رقم: ٨.

٢– ينظر: مغني اللبيب ١ – ١٣، والتفسير التحليلي لسورة النساء ص ٩٦، ٩٧ لـ/ أ. د– إبراهيم عبد الرحمن خليفة. مطبعة الفجر الجديد– الأولى ١٤١٤ هـ– ١٩٩٣م.

المبحث الثاني

بيان سرّ مجيء النداء في القرآن الكريم بـ (يا)، وسرّ حذفها في بعض المواضع من القرآن الكريم

أقول وبالله التوفيق:

يتبين سرّ مجيء النداء في القرآن الكريم بـــ(يا) دون بقية أدوات النداء من خلال الآتي:

أولاً: المشهور في حرف النداء "يا "أنَّه وضع لنداء البعيد[١] ليس فقط عنـــد النحويين – كما سبق ذكره في بيت ابن مالك: وللمنادى الناء أو كالنـــاءِ "يـــا".. الخ....

بل والمشهور أيضاً عند أكثر البلاغيين[٢] وجمهور المفسرين كذلك[٣].

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ٢ – ٣٧٣.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ص ١٠١. للسكاكي. ط/ دار الكتب العلمية، بيـــروت – لبنـــان – ط:٢، ١٤٠٧هـــ – ١٩٨٧م.

(٣) ينظر على سبيل المثال: تفسير البيـــضاوي١–٥٤. ط/ دار إحيـــاء التـــراث العربـــي– بيروت– ط، أولى–١٤١٨هـــ، والكشاف ١ – ٨٩. ط/دار الكتاب العربي – بيـــروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـــ، وإرشاد العقل السليم١ – ٥٨. ط – دار إحياء التراث العربي– بيروت – الرابعة ١٤١٤هـــ –١٩٩٤م. ومفـــاتيح الغيـــب٢ – ٣٢٠. ط – دار إحيـــاء التراث العربي – بيروت – ط – الثالثة –١٤٢٠هـــ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويـــل "تفسير النسفي" ١ – ٣٢ ط – دار الكتب العلمية – بيروت – ط – الأولى ١٤٢١هـــ – ٢٠٠١م، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والـــسبع المثـــاني للإمـــام الألوســـي ١–١٨٤ط– دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـــ.

وقيل: "يا "تدخل في كلِّ نداء.[١]

ويذهب الصبّان في حاشيته على الأشموني إلى أنَّ هذا الحرف وضع لنداء البعيد المتوسط البعد خاصة.. حيث قال: "زيادة أحرفهما – أي "أيا "و "هيا "الموضوعان لنداء البعيد – عن (يا) فيهما دلالة على زيادة بُعد مناداهما عن منادى (يا)"هـ[٢].

ثانياً: أنَّ الأصل في البُعد والقُرب أن يكونا حِسّيين يقاس كل منهما بالمسافة المكانية بين شيئين، لكن ملاحظة ذلك في أكثر نداءات القرآن الكريم لا تتم إلاَّ على وجوه مجازية حسبما يقتضيه المقام.

فالنداءات التي بين الله – تعالى– وخلقه لا يتصور فيها المسافة الحسية وهى لا تتأتى إلا بين جسمين أو جوهرين، والله – تعالى– ليس جوهراً ولا عرضاً، ولا جسماً، ولا غير ذلك من سمات الخلق. كما أنَّ النداءات التي بين الخلق بعضهم البعض – أي في كتاب الله – تعالى– لا يتصور في معظمها وجود مسافة حسية كقولة – تعالى– حكاية عن أهل النار **(وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ)**[٣].

فلا يمكن تصور البعد الحسيّ هنا إلا إذا ثبت بدليلٍ مقبول أنَّ أهل النار عند هذا النداء لم يكونوا مع مالك في مكانٍ واحد أو متقارب بأن يكونوا في

---

(١) هو قول الأشموني على الألفية. (ينظر حاشية الصبان على الأشموني ٣ – ١٩٩، وكذلك قول المبرد، وابن البرهان كما ذكره الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل للألفية ٢ – ٧١، وكذلك ذهب التفتازاني في المطول ص ٤٣٠ ومن المفسرين الإمام أبو حيان. (ينظر: البحر المحيط ١–١٥١ ط/دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠هـ).

(٢) حاشية الصبان على الأشموني ٣ – ١٩٨.

(٣) سورة الزخرف آية رقم: ٧٧.

قعرها، ومالك خازنها على بابها وأنَّ بعد القعر من الباب بالنسبة لمالك كهو بالنسبة لهم..! وأنَّى بمثل هذا الإثبات؟

لذا فالمحققون في كتاب الله – تعالى– كما ذكر أ. د/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة (رحمه الله) يصرفون حرف النداء عن حقيقة ما وضع له إلى وجهٍ آخر لائق بمقامات وروده من مواضع الذكر الحكيم. وهذا الوجه الآخر لا يخرج عن أمرين قد يجتمعان وقد ينفرد أحدهما.

أحدهما: تنزيل البعد المعنوي منزلة البعد الحسي إمَّا: للإشعار بتعاظم الفرق بين المنادِي والمنادَى.

وإمَّا للإشعار بكون الغفلة قد أنزلت صاحبها منزلة البعد الحسي من مناديه، وإن كان في الحقيقة وواقع الأمر قريباً منه ولو إلى حدّ تلاشي المسافة بينهما بالكلية.

أمّا ما يكون فيه هذا التنزيل للإشعار بتعاظم الفرق بين المنادِي والمنادَى فأكثر ما يلاحظ ذلك فيما يكون من النداء بين الله وبين خلقه، وذلك لأنَّ بين منصب الربوبية الرفيع، وبين درجة العبودية المنحطة جداً بالقياس إلى هذا المنصب.. من البون الشاسع والفرق الجسيم الذي لا حدّ لتعاظمه وكماله من كل وجه ما لا يتصور في الخيال فضلاً عن الحقيقة أبعد منه.. فمهما يكن من شأن المخلوق حتى لو كان نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً، فما بينه وبين الخالق العظيم من هذا البعد المعنوي ليس مصححاً لهذا التنزيل فحسب بل هو على التحقيق أعظم من أن يحيط بمداه علمٌ أو يدركه فهمٌ.

ولولا ضرورة توقف أفهامنا واضطرارنا في التخاطب إلى العبادات ولو لمجرد التلويح بالمقصود إذا جلَّ عن الفهم والإدراك ما أمكن أن يقع هذا المقصود هنا تحت عبارة أصلاً.

وأمَّا ما يكون فيه هذا التنزيل للإشعار بكون الغفلة قد أبعدت صاحبها عمن يناديه وإن كان قريباً منه في الواقع ونفس الأمر..

فبتجلي ذلك أبلغ ما يتجلى في نداء الله – تعالى– للكافرين من عباده فإنَّهم بكفرهم وغفلتهم من معرفة ربهم وما نصبه لهم من بينات على هذه المعرفة من آيات الأنفس والآفاق قد أبعدوا أنفسهم عن ساحة رحمته وأهلية خطابه وغير ذلك مِمَّا يجعلهم في غاية البعد عن المنادِي – تعالى–.

ولكن على القول بأنَّ "يا" لمتوسط البعد؛ فقد كان من الأوْلى بهذين الغرضين المتضمنين غاية البعد – كما هو ظاهر– أن يستعمل في النِّداء ما وضع للبعيد شديد البعد (أيا) و (هيا) لا ما وضع لمتوسط البعد فحسب كهذا الحرف (يا) الذي لم يأت في القرآن غيره.

ويجاب على ذلك بأنَّ هذا الحرف "يا" أوثر عن أخويه (أيا) و (هيا) مدّاً للخلق في بعض أسباب الأمل والرجاء كرماً منه – تعالى– حتى لا تنقطع بهم أسباب الأمل في نيل رحمته وقربه فيقضي عليهم اليأسُ التام من تقارب النسبة بين الخالق والمخلوق باليقين من عدم أهلية الخطاب بالكلية فيبعثهم ذلك على الإعراض عما في خطابات الشارع من هدى ونور.."هـ[1].

إذاً فالمجازَ في النداء بـ (يا) في هذا الوجه:

إمَّا للإشعار بتعاظم الفرق بين المنادي والمنادَى.

وإمَّا للإشعار بكون الغفلة قد أبعدت صاحبها عمن يناديه وإن كان قريباً منه في الواقع والمناسب في هذا الوجه هو الإتيان بـ "يا" والتي هي لمتوسط البعد لدى البعض – مداً للخلق في أسباب الأمل..

---

(١) التفسير التحليلي لسورة النساء ص ٩٨ – ١٠٢. بتصرف.

ويضاف إلى ذلك أنه لا بد أنْ نُلاحظ أنَّ الله – تعالى– عندما ينادي على أنبيائه ورسله أو جماعة المؤمنين ، وكذلك الملائكة فإنَّ في ذلك إشعاراً بعظم المنادَى أيضاً بجانب الإشعار الأكيد بعظم المنادِي (ﷻ).

فعلى هذا نسأل إذا كان نداء الله على أنبيائه ورسله وجماعة المؤمنين وكذلك الملائكة يشعر بعظم ورفعة شأن المنادَى فما وجه الإتيان بـ"يا "على القول بأنها لمتوسط البعد ــ دون غيرها في هذا الوجه؟

فأقول وبالله التوفيق: إنَّ الله – تعالى– لم ينادهم بنداء البعيد شديد البعد لأنهم قريبون إلى ربِّ العالمين بالطَّاعة والإنابة.

ولم ينادهم بما يدلُّ على هذا القرب ليبقى كلٌّ منهم على حذرٍ من ربَّ العالمين (ﷻ) وعدم الأمن من مكره **(فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ)**[1] وفي هذا إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه هؤلاء من التوسط بين درجتي الخوف والرخاء. والله أعلم

أمَّا **الوجه الثاني** من وجهي خروج النداء من الحقيقة إلى المجاز فالأمرٍ آخر يليق به حسب المقام وهو: "**إظهار المنادِي الاهتمام بالأمر الذي ينادي من أجله..**

وذلك أنَّ العادة المضطردة قد جرت بأنه لا يحسن أن تنادي بعيداً عنك، وبحيث تكلفه المشقة في قطع المسافة الحسيِّة الطويلة إليك إلا إذا كان ما تدعوه له أمراً مهماً جديراً أن تحتمل من أجله المشقة في قطع مثل هذه المسافة..

فبحكم هذه العادة المضطردة المنسجمة مع منطق العقل وحكمته جرى الكثيرُ من نداءات الذكر الحكيم.. كيف لا، ونداؤه – تعالى– على خلقه بأوامره ونواهيه يعدُّ من الأهمية بمكان إذْ غاية كل منهما إصلاح الفرد والمجتمع.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم: ٩٩.

ويتجلى أيضاً في هذا الوجه حكمةُ النداء بـــ "يا" إذا ما لوحظ وضعه للبعيد المتوسط البعد إذْ كان من الأوْلى في مثل هذا الوجه أنْ يستعمل مـــن أحـــرف النداء ما وضع لشديد البعد لا لمتوسطه فحسب ليناسب الاهتمام بالأمر المنادَى، ويجاب على ذلك بأنه أوثر ما هو لمتوسط البعد إشارة إلى أنَّ المشقةَ المتحملـــةَ في امتثال ما دعينا له متوسطة لا أنَّها عظيمة متناهية العظم بعيدة عن أن يطاق احتمالها حسبما كان يمكن أن يفيده ما هو موضوع لشدة البعد..

لا يقال: قد كان يمكن استعمال حرف آخر مما وضعوا لمتوسط البعد أيضاً كـــ "آ" أو "أي" ليفيد المعنى المشار إليه..!

لا يقال ذلك لأنَّ استخدام ما هو أفشى في العربية والأكثر فـــي اســـتعمال أهلها عند النداء أولى مما هو دونه في ذلك.

فبهذا كله يتبين أنَّ القرآن حين قصَرَ الاستعمال على هذا الحرف "يا "فـــي جميع نداءاته قد جرى على ما هو الأوفق بالحكمة، والأجزل في البلاغة.."[1]

ونستخلص مما سبق:

أولاً: على القول بأنَّ "يا" لنداء البعيد فإنَّ نداء القريب بها إمَّا لعلـــو مرتبـــة المنادِي. وإمَّا لتنزيل غفلة السامع وسوء فهمه منزلة بعده.

وإمَّا للاعتناء بأمر المدعو له والحث عليه، واختيارها من بـــين أخواتهـــا الدالة على البعد حينئذ كـــ "أيا" و "هيا" إنما هو لسهولة النطق بها وكثرتها على الألسنة حتى ليُظن أنْ ليس للنداء أداة إلا هي.

ثانياً: على القول بأنَّ "يا" لمتوسط البعد قد يظهر للمتأمل في النداء بها حِكَمٌ وأسرارٌ يتجلى من خلالها وجهٌ من وجُوه إعجاز كتاب الله – تعالى– هذا إذا لم ننظر إلى شيوعها وسهولة النطق بها، وإلا فتلك علة كافية لمجيء القرآن بهـــا.

---

(١) التفسير التحليلي لسورة النساء ص ١٠٣ بتصرف.

فسمة القرآن الكريم هو التيسير وسلاسة التعبير كما قال- تعالى-: **(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)**[1].

هذا عن سرّ اختيار "يا" في نداءات القرآن الكريم.

أما الأمر الثاني من هذا المبحث وهو **سرّ حذف "يا" في بعض المواضع من القرآن الكريم**، ولا سيَّما في الدعاء كقوله - تعالى-: **(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى)**[2] أي: يا ربِّ أرني. فيظهر في أمرين: **أولهما:** أنَّ النِّداء يتشرب معنى الأمر لأنك إذا قلت: يا زيد، فمعناه: أدعوك يا زيد، فحذفت "يا" من نداء الرب ليزول معنى الأمر، ويتمحض للتعظيم والإجلال[3].

ثانيهما: أنَّ المنادِي- ولا سيَّما إذا كان داعياً ربَّه - تعالى- يسارع إلى الاشتغال بذكر المنادَى بحيث لا يشغله عن هذا الذكر شيء.

حتَّى لو كان هذا الشيء يسيراً كحرف النداء، فإنْ قلت: إذا تعقلنا هذا في الدعاء فكيف نتعقله في غير الدُّعاء من أمثال قوله - تعالى- حكاية عن العزيز أو عن الشاهد **(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا..)** الآية[4]، مما وقع فيه حذفُ حرف النداء وهو غير دعاء.

يجاب عليه بأنَّ الأمر في هذا هو بعينه ما قلناه في الدعاء، فإنَّ المنادي- في نحو ما سبق من التمثيل به - بيّنُ التهالك مفرط الإقبال على المنادَى لا يحب أن يشتغل عنه بشيء، أو قل: تمنعه المسارعة إلى ما يريد من مناداة

---

(١) سورة القمر آية رقم: ١٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٢٦٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣ - ٢١٣.

(٤) سورة يوسف آية رقم: ٢٩.

الذي هو يوسف (عليه السلام) في هذا المثال من أن يضيع أيَّ وقت ولو كان هذا الوقت مجرد اللحظة التي يستغرقها حرف النداء لو ذكره.[١]

ومن الجدير بالذكر هنا أنه على كثرة ما نودي "الرب" (عز وجل) في القرآن الكريم لم يعثر عليه مسبوقاً بحرف النداء إلا في موضعين:

أولهما: قوله – تعالى–: **(وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)**[٢].

ثانيهما: قوله – تعالى–: **(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)**[٣].

ولعلَّ مجيء حرف النداء في الأول ليعبر عن حالة نفسية ألمَّت بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد أفرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم، فلم يزدهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم فأطبق الهمُّ على فؤاده (صلى الله عليه وسلم).. فأتى بحرف النداء، كأنما يريد أن يرفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله، واستجلاب رضاه"[٤].

والحكمة في الموضع الثاني ظاهرة؛ ففيها شكاية الرسول (صلى الله عليه وسلم) قومه إلى ربِّ العالمين حيث قابلوا القرآن العظيم بالكفران والهجران مع ما فيه من

---

(١) التفسير التحليلي لسورة النساء ص ١٠٧ بتصرف.

(٢) سورة الزخرف آية رقم: ٨٨ – ٨٩.

(٣) سورة الفرقان آية رقم: ٣٠

(٤) معاني التراكيب ص ١١٦، ١١٧ د/ عبد الفتاح لاشين. ط/دار الطباعة المحمدية، بدون تاريخ بتصرف.

مظاهر إعجازه وهداياته، فأتي بحرف النداء ليصور مدى بث حزنه (ﷺ) إلـــى الله وشكواه على قومه.[١]

وذكره تعالى لنداء نبيه (ﷺ) في هذين الموضعين ممَّا يدلُّ علي رفعة شأنه (عليه الصلاة والسلام) وتعظيم دعائه لربه (ﷻ) وحده.[٢]

(١) قلت: في هذين الموضعين ردٌّ على صاحب الموافقات حيث ذكر أنه لم يأت في القــرآن نداء من العباد إلى الله – تعالى – بحرف نداء ثابت بناء على أن حرف النداء للتنبيه في الأصل والله منزه عن التنبيه.. !! ينظر الموافقات في أصول الفقه ٢ – ١٠٤. للإمـــام الشاطبي دار المعرفة – بيروت. تحقيق/عبد الله دراز.

(٢) روح المعاني ١٣ – ١٠٧ بتصرف.

المبحث الثالث

بيان معنى "أيْ" وحكمة ذكره في النداء، وكذا "ها" التنبيه وحكمتها

أما عن "أيْ" وحكمة ذكره في النداء:

فلا شك أنَّ مجيء "أيْ" في النداء بـــ "يا "يزيده تأكيداً لما يقتضيه الـــسياق اللغوي أو سياق المقام(١).

فـــ "أيْ" عنصر لغوي ذو تأثير في اللفت والإيقاظ..

و "أيّ" هذه – كما في كتب النحو(٢)– اسم يأتي على خمسة أوجه:

١– شرطاً نحو قوله – تعالى–: **(أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى)**(٣)

٢– استفهاماً نحو قوله – تعالى–: **(فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)**(٤)

٣– موصولاً نحو قوله – تعالى–: **(ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُـمْ أَشَـدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا)**(٥) التقدير: لننزعن الذي هو أشدّ.

---

(١) السياق اللغوي هو: الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة، والنصّ الذي تـرد فيـه.. وبمعنى آخر: كلّ ما يصاحب اللفظ من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء أتقدمت عليه أم تأخرت عنه.. وسياق المقام هو: كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق، فتعطي اللفظ دلالته، وتوجهـه باتجـاه معـين. (التأويل اللغوي في القرآن الكريم" دراسة دلالية" ص٤٨، ٤٩ د/حسين حامد الـصالح – دار ابن حزم – صنعاء بدون.

(٢) ينظر مغني اللبيب ١ – ٧٧، ٧٨.

(٣) سورة الإسراء آية رقم: ١١٠.

(٤) سورة المرسلات آية رقم: ٥٠.

(٥) سورة مريم آية رقم: ٦٩.

٤- أن تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة نحو "زيَدٌ رجلٌ أيُّ رَجُلٍ" أي كامل في صفات الرجال، وتقع حالاً للمعرفة كـ"مررت بعبدِ الله أيَّ رجل.

٥- أن تكون وُصْلَةً إلى نداء ما فيه أل، نحو "يا أيُّها الرجُل".

وهذا هو الوجه الأخير الذي يهمنا من استخدامات "أيْ".

ففوق ما سبق ذكره من أنَّ مجيئها في النداء – من الناحية البلاغية – للتأكيد.. فإنَّها من الناحية اللغوية لا يتوصل إلى نداء ما فيه "أل" إلا بها يقول الإمام الزمخشري: "و" أيْ" وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أنَّ "ذو "و "الذي" وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بُدَّ أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو "أيْ" والاسم التابع له صفته كقولك: يا زيد الظريف. إلا أنّ "أيّاً "لا يستقل بنفسه استقلال زيد، فلم ينفك من الصفة "هـ[1].

ولمَّا كان المقصود بالنداء في الحقيقة نعتها المذكور بعدها والمحلى بـ(أل) دائماً اغتفر فيه بعض ما لا يغتفر في غيره من النعوت فجاز فيه أنْ يكون جامداً مع أنَّ شرط النعت عند الجمهور من النحويين وأهل اللغة هو الاشتقاق أو التأويل به [2].

---

(١) الكشاف ١ – ٨٩.

(٢) يقول ابن مالك في ألفيته:

وانعت بمشتق كصعب وذرب * وشبهه كذا وذي والمنتسب**

والمعنى: أنَّه لا ينعت إلا بمشتق لفظاً أو تأويلاً والمراد بالمشتق هنا ما أخذ من المصدر للدلالة على معنى وصاحبه وهو اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل وأفعل التفضيل والمؤول بالمشتق كأسماء الإشارة نحو مررت بزيد هذا أي المشار إليه=

أمَّا عن تعليل مجيء "أيْ" مع "يا "للتوصل لنداء ما فيه "أل" فـ"لأنَّ" يا "تعد بمثابة علامة التعريف، ومباشرتها حينئذٍ لما فيه "أل "متعذر.. لأنهما كمتلين وهما لا يجتمعان إلا فيما شذَّ من نحو:

فَلاَ واللهِ لا يُلْفَى لمَا بِي * وَلاَ لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ".(١)

لكن اغتفر هذا في نداء لفظ الجلالة وجاز أنْ تجتمع "يا" مع "أل" دون "أيْ" وتعليل ذلك:

أولاً: أنَّ "أل" في لفظ الجلالة صارت من بنية الكلمة.

ثانياً: أنَّ لفظ الجلالة من القداسة ما يوجب صيانته عن أيّ تغيير أو تحريف بنقص أو زيادة.

ثالثاً: لم يحتج إلى "أيْ" في نداء لفظ الجلالة – طلباً لخفة هذا اللفظ على الألسنة، لكثرة ترديدها له لشدة الحاجة إلى ذكره في الدعاء وغيره.

=وكذا ذو بمعنى صاحب والموصولة نحو مررت برجل ذي مال أي صاحب مال وبزيد ذو قام أي القائم والمنسوب نحو مررت برجل قرشي أي منتسب إلى قريش. وقد ذهب جمع من المحققين كابن الحاجب إلى أنه لا يشترط في النعت كونه مشتقاً بل الضابط دلالته على معنى في متبوعة كالرجل الدال على الرجولية.

وعلى هذا فيجوز في اسم الجنس المحلى بـ(أل) بعد اسم الإشارة كونه نعتاً ككونه بدلاً أو بياناً نحو هذا الرجل قائم أما على الأول فلا يجوز كونه نعتاً إلا المشتق كهذا القائم رجل. (حاشية الخضري على ابن عقيل ٢ – ٥٢).

١– روح المعاني١– ١٨٤. والبيت لـ/ مسلم بن معبد الوالبي. والشاهد فيه (للما) والشذوذ هنا في دخول (أل) على (ما) الموصولة حيث تباشرت علامتا التعريف. (ينظر: مغني اللبيب١– ١٨١، وخزانة الأدب ٢ – ٢٧٠. لـ/ عبد القادر عمر البغدادي. ط – دار الكتب العلمية – بيروت، وكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ص ٥٧١. لـ/ عبد الرحمن بن محمد الأنباري. ط – دار الفكر.

رابعاً: أنَّ "أيْ" نكرة تحتاج بعدها اسم جنس، أو ما يجرى مجراه يوضحه ويزيل إبهامه، ولفظ الجلالة ليس من هذا القبيل، فلا يتناسب معه أن يسبقه "أيْ".

خامساً: أن الإبهام يشبه العدم بالنسبة للمخصوص المقصود بالنداء بعد "أيْ" لكن الله – تعالى– لم يسبقه عدم، فلا يصلح أن يسبق ذكره أيضاً عدم ولا شبه عدم.

سادساً: أنَّ في رفع "أيْ" من بين حرف النداء "يا "وبين لفظ الجلالة أي "المنادَى" إشارة إلى قرب الله ممن ناداه، وأنه ينبغي رفع كل الوسطاء بين العبد وبين ربه، على حدِّ قول الله – تعالى–: **(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ)**[1] ولم يقل: فقل: إني قريب[2].

هذا عن "**أيْ**" **فماذا عن "ها" التنبيه وحكمتها؟**

قبل الإجابة على هذا أشير في البداية أنه عندما نقول "**ها** "التنبيه فهذا أحد وجوه ثلاثة ذكرت في استخدامها..

وثاني هذه الوجوه: أنْ تكون اسماً لفعل وهو "خُذ" ويجوز مَدُّ ألفها، ويستعملان – أي: ها وهاء – بكاف الخطاب وبدونها، ويجوز في الممدودة أن يستغنى عن الكاف بتصريف همزتها تصاريف الكاف؛ فيقال "هَاءَ" للمذكر

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٨٦.

(٢) ينظر: التفسير التحليلي لسورة النساء ص١٠٨، وتفسير سورة الممتحنة "دراسة تحليلية" د/ عبد البديع أبو هاشم محمد ص ٥٢، ٥٣/ط/ أولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – بدون ذكر اسم المطبعة.

بالفتح و "هَاءِ" للمؤنث بالكسر، و "هاؤُمَا" و "هـاؤُنَّ" و "هـاؤُمْ" ومنـه **(هَـاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)**[1].

وثالث هذه الوجـوه: أن تكون ضميراً للمؤنث، فتستعمل مجرورة الموضع ومنصوبته نحو: **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)**[2].

ونعود إلى استخدام "**ها**" للتنبيه لنقول: إنها تكون للتنبيه على أربعة أوجـه ذكرها ابن هشام في المغني وهي:

أولاً: الإشارة غير المختصة بالبعيد نحو "هـذا" بخـلاف (ثَـمّ) و (هَنَّـا) بالتشديد و (هُنالك).

ثانياً: ضمير الرفع المخبر عنه باسم إشارة نحو: **(هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّـونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ)**[3].

ثالثاً: اسم الله – تعالى– في القَسم عند حذف الحرف، يقال "هَا اللهِ" بقطـع الهمزة ووصلها..

رابعاً: نعت (أيْ) في النداء نحو "يا أيُّها الرجل"[4]

والذي يهمنا من أمر "ها" التنبيه هو هـذا الوجـه الأخيـر فـأقول – والله الموفق–:

ذكر العلماء لـ "**ها**" حينما تدخل على "**أيْ**" في النداء فائدتين:

فائدة نحوية وفائدة بلاغية أما الفائدة النحوية فإنَّ "ها" التنبيه عندما تـدخل على "أي" تكون عوضاً مما يستحقه (أيْ) من الإضافة، وفي ذلك يقول الإمـام

---

(١) سورة الحاقة آية رقم: ١٩.

(٢) سورة الشمس آية رقم: ٨.

(٣) سورة آل عمران آية رقم: ١١٩.

(٤) مغني اللبيب ٢ – ٣٤٩ باختصار.

القرطبي: "وجاءوا بها عوضاً عن ياء أخرى، وإنّما لم يأتوا بياء لئلا ينقطع الكلام؛ فجاءوا بها حتى يبقى الكلام متصلاً، قال سيبويه: كأنك كررت "يا "مرتين وصار الاسم بينهما؛ كما قالوا: ها هو ذا"هـ [1].

ومعنى ذلك أنّ أصل الكلام (يا رجل) ولما كان حرف النداء لا يصل بنفسه إلى نداء ما فيه "أل" زادوا لفظ (أيْ) للحِكَم التي سبق ذكرها فصار التركيب (يا أي الرجل) وهكذا وقع الفصلُ بين حرف النداء والمنادى مما أحوج إلى تكرار حرف النداء ملصقاً بالمنادى ليكون (يا أي يا الرجل) ولما في هذا التركيب من الإشكال الأول ذاته – أي عدم مباشرة حرف النداء لما فيه (أل) ولما فيه من التكرار– جاءوا بـ (ها) التنبيه عوضاً عن حرف النداء الثاني فصار التركيب – كما ترى – (يا أيها الرجل).

وأما الفائدة البلاغية لدخول "ها" التنبيه على "أي" فهي معاضدة حرف النداء ومكاتفته بتأكيد معناه..

ومن الممكن بيان حكمة هذا التنبيه في "ها" الدال على معاضدة ومكاتفة حرف النداء لتأكيد معناه فيما يلي:

أولاً: الإرشاد إلى أهمية الأمر المنبّه إليه، ضرورة أنه لا يحسن التنبيه من العاقل – فضلاً عن العليم – تعالى– إلاَّ إلى ما هو مهمٌ يخشى أن تقع الغفلة عن أهميته لولا التنبيه إليه.

---

(١) تفسير القرطبي ١ – ٢٢٥ ط – دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، وينظر: الكشاف ١ – ٩٠، وإرشاد العقل السليم ١ – ٢٥٨، وروح المعاني ١ – ١٨٥.

ثانياً: تجلية رحمة الله الواسعة ونعمته السابغة على عباده بتنبيههم إلى ما يهمهم وبحيث لم يكلهم إلى أنفسهم في اكتشاف ما فيه من الأهمية ولا وكلهم إلى الغفلة التي يمكن أن تعتريهم فتحول دون تنبههم إليه.

ثالثاً: قطع أعذار الخلق وإقامة الحجة عليهم بهذا التنبيه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة.. فإنَّه – تعالى– بعد إذ نبههم إلى ما يهمهم لا يبقى لهم عذرٌ في ادعاء أنهم لم يعرفوا أهميته وأنهم لو نبهوا إليها لعرفوها.

تلك وجوه تضع أيدينا على حكمة دخول "ها" التنبيه على النداء بـ "يا أي" ليصير التركيب "يا أيُّها.." والذي كثر النداء به في كتاب الله – تعالى– ما لم يكثر في غيره وذلك – كما يقول الإمام الزمخشري: "– لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأنّ كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم.

وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ "هـ[1].

ويختصر الإمام الألوسي هذه المعاني الكامنة في النداء بـ "يا أيُّها" فيقول: وكثر النداء في الكتاب المجيد على هذه الطريقة لما فيها من التأكيد الذي كثيراً ما يقتضيه المقام بتكرر الذكر والإيضاح بعد الإبهام، والتأكيد بحرف التنبيه واجتماع التعريفين"هـ[2].

وبهذا يتم الكلام عن هذا التركيب الذي كثر النداء به في كتاب الله –تعالى– أعني "يا أيُّها".

وفيما يلي استعراض أنواع النداءات الإلهية في القرآن الكريم.

---

(١) الكشاف ١ – ٩٠.

(٢) روح المعاني ١ – ١٨٤.

الفصل الثاني
أنواع النداءات الإلهية في القرآن الكريم ومغزاه

مما لا شك أنَّ النِّداء – وكما سبق ذكره – يعدُّ في كتاب الله – تعالى– أحد الأساليب البلاغية ووجهاً من وجوهه البيانية التي تدلَّ على العناية الكاملة والاهتمام العظيم بالمطلوب، وبالمنادى، وهذا أمر معروف مشهور..

وإذا ما تأملنا في كتاب الله – تعالى– يظهر لنا نوعان من نداء الله – تعالى– الموجه إلى خلقه وهذان النوعان هما: **نداء تكويني، ونداء تكليفي.** وفيما يلي تفصيل ذلك..

المبحث الأول

النداء التكويني

ومعناه: نداء الله – تعالى– لغير العقلاء مما خلق، ومثاله: قوله – تعالى– **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)**(١).

وقوله – تعالى–: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم)**(٢).

وقوله – تعالى–: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)**(٣).

وهذه النداءات في القرآن الكريم تظهر مطاوعة الكائنات لخالقها، وخضوعها لسنته، والدلالة على وحدانيته، إذ الشركة تمنع مثل هذا الانقياد لما بين الشركاء من التضاد، المؤدي إلى النزاع.."كما تدلُّ أيضاً على عظمة هذه الأجسام الدالة على عظمة خالقها (ﷻ)، وأنه – تعالى– مستول عليها متصرف فيها كيف يشاء.."(٤)

وقد اختلف العلماء في أمثال هذه النداءات وهل هي على الحقيقة بمعنى أن تكون هذه المخلوقات مثل ما للإنسان من إدراك وتمييز أم أنَّ ذلك على سبيل المجاز؟

يذهب جمهور العلماء إلى أنَّ هذه النداءات من رب العالمين لهذه المخلوقات من الأرض والسماء والجبال.. إلى غير ذلك إنما هو على الاستعارة المجازية.

---

(١) سورة هود من الآية رقم: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

(٣) سورة سبأ آية رقم: ١٠.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ١٧ – ٣٥٣ ، والبحر المحيط ٦ – ١٦٠.

يقول الإمام الزمخشري: "نَادَى الأرضَ والسماءَ بما يُنَادَى به الإنسان المميز على لفظ التخصيص، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات..، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور، وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له، وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته"هـ(١).

ويؤكد الإمام الرازي على ذلك بقوله: "ليس المراد أنه – تعالى– يأمر الجمادات فإنَّ ذلك باطل بل المراد أن توجيه صيغة الأمر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة يقرر في الوهم نوع عظمته وجلاله تقريراً كاملاً"(٢).

ويقابل هذا القول أن نداء هذه الأشياء السابق ذكرها لا مانع من إجرائه على الحقيقة حيث لا يبعد أن يركب الله فيها العقول، ومن ثمَّ فلا يبعد أيضاً أن تنادى كما ينادى العقلاء من الملائكة والإنس والجن(٣).

بل ذكر الإمام القرطبي أنَّ هذا قول أكثر أهل العلم(٤).

---

(١) الكشاف ٢ – ٣٩٧.

(٢) مفاتيح الغيب ١٧ – ٣٥٣.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي ٤ – ٢٤ ط/دار الكتب العلمية – بيروت – ط/أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢ – ٢٣٨ لابن جزي ط/شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – ط/ أولى ١٤١٦هـ.

وروح البيان ٥ – ٤١ لـ/ إسماعيل حقي. ط/دار الفكر – بيروت، والبحر المحيط ٦ – ١٦٠).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥ – ٣٤٤. عند تفسيره لقوله تعالى: **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)** (فصلت: ١١).

كما أننا نجد في القرآن الكريم بعض هذه النداءات وهي تدور بين تلك الأشياء التي نحسبها غير عاقلة أو غير مميزة كنداء النملة على أخواتها من النمل: **(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)**[1].

مما يؤكد على أن لها إدراكاً خاصاً يصلح معه نداؤها..

والله (ﷻ) يثبت للكائنات تسبيحاً لا نفقهه: **(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)**[2].

ويذكر لها قولاً **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**[3].

ويذكر لها إباء وهو من لوازم الإرادة: **(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)**[4].

ويذكر لها سماعاً: **(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)**[5].

ويذكر لها حديثاً: **(إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)**[6].

فهل هذا كله يحمل على أمور مجازية أم أن لهذه الكائنات إدراكاً وتمييزاً مثل الإنسان؟

---

(١) سورة النمل آية رقم: ١٨.

(٢) سورة الإسراء آية رقم: ٤٤.

(٣) سورة فصلت آية رقم: ١١.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم: ٧٢.

(٥) سورة الانشقاق آية رقم: ١ – ٥.

(٦) سورة الزلزلة آية رقم: ١ – ٥.

الحاكم في ذلك كله هو أوضاع اللغة وضوابطها، وإن كان العقل لا يمنع في جميع الأحوال ما تمنعه أوضاع اللغة.

والذي يهمنا ذكره في هذا المقام أن نداء رب العزة (ﷻ) لهذه الجمادات ورد في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي التي سبق ذكرها أعني قوله – تعالى–: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)**[1].

وقوله – تعالى–: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم)**[2].

وقوله – تعالى–: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)**[3].

أما الموضع الأول فقد جاء في سياق الحديث عن قوم نوح وما جرى لهم من الغرق بسبب كفرهم وخطيئاتهم، والملاحظ أن هذا النداء مسبوق بنداء نوح (عليه السلام) وهو على ظهر السفينة لابنه: **(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ * قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)**[4]، كما أن لاحقه فيه نداء نوح لربه (ﷻ) وكذلك نداء الله – تعالى– لنوح (عليه السلام): **(وَنادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ)**[5].

---

(١) سورة هود من الآية رقم: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

(٣) سورة سبأ آية رقم: ١٠.

(٤) سورة هود آية رقم: ٤٢ – ٤٣.

(٥) " " " " : ٤٥ – ٤٦.

السياق أكثره نداء يناسب الموقف الذي جرت فيه القصة من الإهلاك والدمار والاضطراب..

يقول صاحب الظلال: "وإننا بعد آلاف السنين، لنمسك أنفاسنا- ونحن نتابع السياق- والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد. وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء. وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء، وكأن لم يكن دعاء ولا جواب!.."هـ[1].

ثم يأتي نداء الله – تعالى- للأرض وأمرها ببلع ماءها، وللسماء وأمرها بالإقلاع عن همر المطر: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)**[2].

وقد تكلم العلماء عن بلاغة هذه الآية الكريمة بكلام كثير، لا يتسع المقام لذكره، والذي يعنينا مما ذكروه هو أمر النداء فيها، مع ملاحظة أن الفعل السابق لحرف النداء في هذه الآية قد بني للمجهول (وقيل).

أما عن بناء الفعل في الآية (وقيل) للمجهول فلأنه "أبلغ في التعظيم والجبروت"[3] على معنى أنه "متى قيل (قِيلَ) لم ينصرف العقل إلا إلى رب العالمين (ﷻ) ولم يتوجه الفكر إلا إلى أن ذلك القائل هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه، على أنه تقرر في العقول أنه لا حاكم في العالمين ولا متصرف في العالم العلوي والعالم السفلي إلاَّ هو"[4].

---

(١) في ظلال القرآن ٤ – ١٨٧٨. للأستاذ/سيد قطب. ط/دار الشروق – بيروت – القاهرة، ط: ١٧ – ١٤١٢هـ.

(٢) سورة هود من الآية رقم: ٤٤.

(٣) المحرر الوجيز ٣ – ١٧٥. للإمام/ابن عطية الأندلسي ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى- ١٤٢٢هـ.

(٤) مفاتيح الغيب ١٧ – ٣٥٣ ببعض تصرف.

ثم يلي هذا الفعل نداء الأرض والسماء[١]، "وقدم نداء الأرض على السماء لكون ابتداء الطوفان منها، وأيضاً: قدم النداء على الأمر فقيل: **(يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)** دون أن يقال: ابلعي يا أرض واقلعي يا سماء، وذلك لما في (يا) من التنبيه المؤدي إلى تمكن الأمر في نفس المنادى"[٢].

والعجيب أن سياق النداءات الواردة في هذا الموضع وفي سابقه ولاحقه لم ينفذ منها إلى الواقع والحقيقة إلا نداء رب العالمين سبحانه؛ فنداء نوح لابنه لم ينفع بشيء، وندائه ربه أن ينجي ولده لم ينفع بشيء، أما نداءه – تعالى– للأرض والسماء بإنفاذ ما أمرهما به، ونداءه لنوح (عليه السلام) بألا يسأل عما ليس به علم.. فقد جرى وجوده، مع سرعة وقوعه. فسبحان مَن لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

أما الموضع الثاني: الوارد في القرآن الكريم من النداء التكويني ففي قوله تعالى: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم)**[٣].

---

(١) على القول بأن نداء هذه الجمادات من قبيل المجاز، فقد بني الكلام على تشبيه الأرض والسماء بالمأمور الذي لا يتأتى منه العصيان، كأنهما عقلاء مميزون، فاستعمل قِيلَ بدل "أريد" مجازا إطلاقاً للمسبب على السبب، فإن صدور القول إنما يكون بعد إرادته. وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله: **(يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ)** والخطابان أيضاً على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والأرض كالمأمورين المنقادين. (ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤–٢٤. للإمام/الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى–١٤١٦هـ.

(٢) ينظر: فتح القدير ٢ – ٥٦٨. للإمام/محمد بن علي الشوكاني ط: دار ابن كثير، بيروت – ط: أولى–١٤١٤هـ، وروح المعاني ٦ – ٢٦٤.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٩.

وقد ورد هذا النداء في سياق جدال إبراهيم (عليه السلام) لقومه، وما صنعوه له من نار عظيمة عبر عنها القرآن الكريم على لسانهم بأنها الجحيم[1]، ثم إلقائهم إبراهيم (عليه السلام) فيها.

والآيات في هذا السياق: **(قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ * قالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ * قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلى إِبْرَاهِيمَ)**[2].

وقد جاء هذا النداء، من رب العالمين (سبحانه وتعالى) لهذه النار ليس فقط لأن تخرج من خاصتها وهي الإحراق، بلْ وأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)!

وفي هذا النداء من المبالغات ما ليس في سابقه أي في قوله – تعالى–: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي)** وذلك لعظم، وسرعة الحدث الذي جرى فيه هذا النداء؛ **ودل على ذلك:**

* إسناد فعل القول إلى رب العزة (سبحانه وتعالى) بضمير العظمة: **(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)** "وقد جاء في القرآن نظائر لهذا، منها: **(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ)**[3]، (وَقُلْنَا اهْبِطُوا)[4] **(وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ)**[5]،**(وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا البَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ)**[6] كلٌّ

(١) ورد ذلك في سورة الصافات في قوله تعالى: **(قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الجَحِيمِ)** (الصافات ٩٧).

(٢) سورة الأنبياء آية رقم: ٦٦ – ٦٩.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ٣٥.

(٤) " " " " : ٣٦.

(٥) سورة الإسراء آية رقم: ١٠٤.

(٦) سورة النساء آية رقم: ١٥٤.

ذلك ورد فيه الفعل مسند إلى المتكلم المعظم نفسهُ، لأن الآمرَ اقتضى الاستعلاء على المأمور، فظهر للمأمور بصفة العظمة، ولا أعظم من الله – تعالى– "[١].

* ثم مجيء حرف العطف الواو في: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ...)** وحذف نظيره في **(قُلْنَا يَا نَارُ..)** إذ أصل الكلام "فقلنا يا نار[٢]" مما يدل على سرعة نفاذ الأمر.

* ومن المبالغات في هذا النداء أيضاً "جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة وإقامة كُونِي ذات برد مقام أبردي، ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه"[٣].

وعلى القول بأن نداء هذه الجمادات مجاز عن التسخير، كما في قوله: **(كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)**[٤]، ففي هذا النداء استعارة بالكناية حيث شبهت النار بمأمور مطيع، وتخييلها الأمرُ والنداء[٥].

---

(١) البحر المحيط ١ – ٢٤٦.

(٢) الكلام يستدعي محذوفاً تقديره: فأوقدوا له ناراً وألقوه فيها، فقلنا يا نار كوني.(جامع البيان ١٨ – ٤٦٥ للإمام الطبري. ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ أولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ٧ – ٤٧٧٤. لـ/ مكي بن أبي طالب. ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – ط: أولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير الإمام البيضاوي" ٤ – ٥٥.

(٤) سورة البقرة آية رقم: ٦٥.

(٥) ينظر: محاسن التأويل "تفسير القاسمي" ٧ – ٢٠٤. ط/ دار الكتب العلميه – بيروت – ط: أولى – ١٤١٨هـ، والكشاف٣–١٢٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٦٨٨ للراغب الأصفهانى. ط: دار القلم– بيروت، ط: أولى–١٤١٢هـ.

والأكثرون على أنَّ هذا النداء والأمر في الآية على الحقيقة على معنى أن الله – تعالى– جعل في كنه هذه النار ما تفهم أمره، ومكن فيها ما تفطن به لذلك[١].

وعلى العلات فخطاب التَّحويل والتَّكوين، لا يختصُّ بمن يعقل[٢].

وما قيل من أن الله – تعالى– عندما أمر النار أن تكون برداً وسلاماً لم ينتفع بالنار أحد، وأنه لما قال: "على إبراهيم "علم أنَّ المقصود بهذا الأمر هي تلك النار التي أعدها الكافرون لإبراهيم (عليه السلام)[٣]. فقول ضعيف من حيث اللغة حيث "جاءت كلمة (نار) مرفوعة ونكرة مقصودة وكل اسم في النداء مرفوع معرفة.

ومعنى كون المنادى معرفة أن يكون مراداً به معين، سواء كان معرفة قبل النداء كزيد وعمرو، أو معرفة بعد النداء – بسبب الإقبال عليه – كرجل وإنسان، وعلى ذلك فنداؤه تعالى للنار بقوله (يا نارُ) بالبناء على الضم دلَّ على أن هذه النار ناراً معينة وهي نار إبراهيم (عليه السلام)[٤].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٣ – ٥٤١. لابن عادل الحنبلي. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط: أولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، وتأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) ٧ – ٣٥٨ لأبي منصور الماتريدي. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط، أولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. تحقيق: د/ مجدي باسلوم.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٣٧٥ للإمام/زكريا الأنصاري، ط/ دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان.

(٣) ينظر هذا القول في تفسير جامع البيان ١٨ – ٤٦٦.

(٤) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٢٢٢ لابن هشام الأنصاري، ومعه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لـ/ محمد محي الدين عبد الحميد. ط/ المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

أما **الموضع الثالث** الوارد في القرآن الكريم من النداء التكويني ففي قوله تعالى: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ)**[1]

والنداء هنا للجبال والطير معاً بأن ينتظما في سلك التسبيح مع داود (عليه السلام)، "بأن يرجِّعا مثل تسبيحه (عليه السلام).

وجملة النداء (يا جبال أوّبي معه) إما أن تكون معمولاً لقول محذوف أي "وقلنا يا جبال أوّبي معه"، وإما أن تكون بدلا من "فضلا".

(وَالطَّيْرَ): عطف على الجبال أي على نيَّة النداء المجدَّد له[2]، أو مفعول معه. أو مفعول به لفعل محذوف تقديره: وسخرنا له الطير.

وقد زاد هذا النداءُ الكلامَ جزالة، وبيان ذلك أنه لو قيل: "وآتينا داود منا فضلاً، تأويبَ الجبال معه والطير" لما أدَّى ما أدَّته جملة النداء من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الإلهية، حيث جعلت الجبال منزَّلةً منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، إشعارا بأنَّه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت، إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته"[3].

---

(١) سورة سبأ آية رقم: ١٠.

(٢) يلزم علي هذا القول، عطف المعرّف بأل وهو لا تدخل عليه" يا" وفي جوازه ومنعه اختلاف للنحاة ومن أجازه استدل بقوله: ألا يا زيد والضحاكُ سيرا.. (حاشية الشهاب ٧ – ١٩٢. ط/ دار صادر – بيروت). والبيت المذكور، لا يعرف قائله، وعجزه: فقد جَاوَزْتُما خَمْر الطّرِيقِ. والخمر: كل ما يستر الإنسان وغيره، من شجر وغيره. يقول لصاحبيه: قد جاوزتما المكان الذي فيه انقطاع السبيل، فسيرا آمنين، واتركا ما أنتما عليه. ينظر: الحلل في شرح أبيات الجمل ص ١٠٥. لـ/ عبد الله بن محمد البطليوسي.ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

(٣) ينظر: الكشاف ٣ – ٥٧١.

وبعد ذكر هذه النماذج الثلاث للنداء التكويني، فإنَّ ما يستفاد منها هو انسياق الكون كله لخالقه (ﷻ) دلالة على قيوميته – تعالى– على الأشياء.

وعلى المشهور بأن "يا" لنداء البعيد فإنَّ مجيئها في هذه النداءات يفيد تعاظم الفرق بين المنادي (ﷻ) والمنادَى من خلقه – تعالى –.

وعلى القول بأن "يا" للبعيد المتوسط البعد يفيد أن هذه المخلوقات مع عظمها إنما هي في محكم تصرفه إيجاداً وإعداماً وتغييراً وتصريفاً، وكمال عنايته بها (ﷻ).

وفيما يلي ذكر النداء التكليفي وأنواعه.

المبحث الثاني

النـــــداء التكليفي

ومعناه نداء الله – تعالى – الموجه إلى العقلاء، وهو إمَّا أنْ يتضمن أمــراً يطلب فعلاً، وإما أنْ يتضمن نهياً يطلب تركاً أو يتضمن مدحاً أو ذماً أو تبكيتــاً أو تعجيزاً أو تذكيراً بنعم الخالق (ﷻ).. إلى غير ذلك مما يتصل بالمكلفين، مما سيلي ذكره من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول

من أنواع النداء التكليفي

نداء الله الناس جميعاً: وذلك إمِّا بالوصف العام للإنسانية ويسمى خطــاب الجنس وإمَّا بوصف البنوة للأب الأوَّل سيدنا آدم (عليه السلام) ويسمى خطاب النــوع أو خطاب النسبة[1].

أما الأوَّل: فيكثر عندما يتعلق النداء بالأصول العامة للدين، مــن الإيمــان بالله (ﷻ)، والوحي والرسالة، واليوم الآخر، وغير ذلك من أفعال المكلفين.

(١) ينظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز١– ١٠٨ لـــــ/ الفيروزآبــادى. ط/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هــ – ١٩٩٦م، وفتح الخبير في أدوات التفــسير ج ٢ – ص ١٥٩. لـــ – أ. د – ســيد مرسي إبراهيم – ط/أولى ١٤٠٧ هــ – ١٩٨٧م، وبحر العلوم١– ٥٩. لـــ/ نــصر بن محمد السمرقندي. ط/دار الفكر – بيروت.

وقد ورد نداء الله الناس في القرآن الكريم عشرين مرة[١]، أكثرها في السور المكية، وقد ورد عن بعض الصحابة والتابعين أنَّ ما كان فيه الخطاب بـ "يا أيها الناس "فهو مكي، وما كان فيه الخطاب بـ"يا أيها الذين آمنوا" فهو مدني[٢]، وضُعِّف هذا القول بأن البقرة والنساء والحجرات مدنيات وفاقاً، وقد ورد في كل منها "**يا أيها الناس**"، وعليه فهذا القول أكثري لا كُلّي[٣].

ومن ورود عموم النداء في القرآن بوصف الإنسانية: قوله تعالى مثلاً: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[٤] فهذا النداء يشمل الكافرين والمنافقين والمؤمنين "على اعتبار أن المراد بالأمر بالعبادة المعنى الشامل لإيجاد أصلها بالنسبة للكافرين والمنافقين، والزيادة والثبات بالنسبة للمؤمنين"[٥].

---

(١) المواضع حسب اسم السورة ورقم الآية: (البقرة ٢١، ١٦٨)، (النساء ١، ١٧٠، ١٧٤)، (الأعراف ١٥٨)، (يونس ٢٣، ٥٧، ١٠٤، ١٠٨)، (الحج ١، ٥، ٤٩، ٧٣)، (النمل ١٦) لقمان (٣٣)، (فاطر ٣، ٥، ١٥)، (الحجرات ١٣).

(٢) ينسب هذا القول لابن مسعود، وعلقمة، والضحاك، وميمون بن مهران، وعروة، وعكرمة.(وقد عزى السيوطي (في الدر المنثور ١ – ٨٤ دار الفكر – بيروت) هذا القول نقلاً عن هؤلاء من الصحابة والتابعين للبزار والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد والطبراني في الأوسط والحاكم، وابن الضريس وابن المنذر وأبو الشيخ بن حبان في التفسير.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ١ – ١٠٢ لـ/ محمد صديق خان القنوجي. ط/ المكتبة العصريَّة – بَيروت، ط/١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٤) سورة البقرة آية رقم: ٢١.

(٥) روح المعاني ١ – ١٨٦ بتصرف.

ولا خلاف بين العلماء في أن "الكفار مخاطبون بأمر الإيمان؛ لأنه (ﷺ) مبعوث إلى الكافة، وبالمعاملات أيضاً، وإنما الخلاف في كونهم مخاطبين بفروع العبادات أم لا؟

والمراد بكونهم مخاطبين بفروع العبادات لدى من قال بذلك أنهم مؤاخذون بها في الآخرة، مع عدم حصول الشرط الشرعي، وهو الإيمان". واستدلوا بالأوامر العامة كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم)** ونحوها، وهم من جملة الناس. واستدلوا أيضًا بما ورد من الوعيد للكفار على الترك كقوله تعالى: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّين)**[1] واستدلوا أيضًا بقوله سبحانه: **(وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)**[2].

واستدل الآخرون بأنهم: لو كلفوا بها لصحت؛ لأن الصحة موافقة الأمر، ولأمكن الامتثال؛ لأن الإمكان شرط، ولا يصح منهم؛ لأن الكفر مانع، ولا يمكن الامتثال حال الكفر، لوجود المانع، ولا بعده، وهو حال الموت، لسقوط الخطاب[3]".

إلى غير ذلك من أدلة تنظر في كتب الأصول.

وكما اختُلف في كون الكفار مخاطبين بفروع العبادات، اختلف أيضا في عموم النداء أو الخطاب بـ "**يا أيها الناس**" وكذلك النداء بـ"**يا أيها الذين آمنوا**" لمن بعد الحاضرين مهابط الوحي، فعند الجمهور لا يشملهم وإنما يثبت حكمه لهم بدليل آخر من نص أو قياس أو إجماع وأما بمجرد الصيغة فلا.

---

(١) سورة المدثر آية رقم: ٤٢ – ٤٣.

(٢) سورة فصلت آية رقم: ٦ – ٧.

(٣) إرشاد الفحول١-٣٤. لـ/ محمد بن علي الشوكاني. ط: دار الكتاب العربي– ط: أولى١٤١٩هـ– ١٩٩٩م بتصرف.

وقالت الحنابلة: بل هو عام لمن بعدهم إلى يوم القيامة واستدل الأولون بأنه لا يقال للمعدومين نحو "**يا أيها الناس**" وإنكار ذلك مكابرة، وبأنه امتنع خطاب الصبي والمجنون فالمعدوم أجدر أن يمنع لأن تناوله أبعد، واستدل الآخرون بأنه لو لم يكن الرسول مخاطباً به لمن بعدهم لم يكن مرسلا إليهم واللازم منتف[1]. إلى غير ذلك مما يطول الكلام فيه.

وقد يأتي لفظ الناس في النداء وهو خاص ومن ذلك ما ذكره الإمام الشافعي في كتابه المسمى بـ (الرسالة) تحت عنوان "باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به كله الخاص".

حيث ذكر من ذلك قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**[2] فاللفظ عام على الناس كلهم لكنه عند أهل العلم يراد به بعض الناس دون بعض لأنه لا يخاطب بهذا إلا من يدعو من دون الله إلها – تعالى عما يقولون علواً كبيرا –[3].

ومن **نداء العام المراد به الخصوص** نداء جنسي الجن والإنس، في قوله تعالى: **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) ينظر: روح المعاني ١-١٨٦، وإجابة السائل شرح بغية الآمل ١- ٣١٠. لـ/محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني. ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، والتحبير شرح التحرير في أصول الفقه ٥- ٢٤٩٥. لـ/علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان الحنبلي. ط/ مكتبة الرشد – الرياض ط/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الحج آية رقم: ٧٣.

(٣) الرسالة ص ٦٠. للإمام الشافعي ط/ مكتبه الحلبي – مصر – ط: أولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م بتصرف.

وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ)[١] فهذا عام مراد به خصوص الفاسقين والكافرين بقرينة قوله بعده: **(يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ)**[٢] وهذا النداء واقع لهم في الآخرة للتعجيز، وأيضاً تحذيراً لهم في الدنيا من التمادي في فسقهم وكفرهم، وبيان أنهم سيكونون في قبضة الله – تعالى– وتحت سلطانه..[٣].

ومن الجائز أن يكون هذا النداء في الدنيا لجميع الإنس والجن على اعتبار تصوير "ضآلة قدراتهما مجتمعين أمام طلاقة القدرة الإلهية في إبداع الكون، لضخامة أبعاده، ولقصر عمر المخلوقات، وحتمية فنائها.."[٤]، فيكون ذلك للمؤمن منهم زيادة يقين، وخضوع له (ﷻ) ويكون للكافر مهم زيادة تحذير، وتعجيز..

ومن ندائهما على سبيل الخصوص ما ورد في قوله تعالى: **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ)**[٥].

---

(١) سورة الرحمن آية رقم: ٣٣.

(٢) سورة الرحمن آية رقم: ٣٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٧ – ٢٥٨ لـ/ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. ط/دار سحنون – تونس – ١٩٩٧ م، والمحرر الوجيز ٥ – ٢٣٠، وروح المعاني ١٤ – ١١، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٤ – ١٤٢. د: محمد سيد طنطاوي. ط: دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

(٤) ينظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ٤ – ٦٦. د/زغلول النجار. ط/مكتبة الشروق الدولية، ط – أولى ١٤٢٨هـ ـ٢٠٠٧م.

(٥) سورة الأنعام آية رقم: ١٣٠.

فالمراد بالجن والإنس في الآية الكريمة: العادلين به من مشركي الإنس والجن ونداؤهما.

في هذا الموقف على سبيل التقريع والتوبيخ[1].

ومن نداء جنس الجن في الآخرة على سبيل الخصوص ما ورد في قوله –تعالى–: **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ)** الآية[2].

فالمقصود بنداء معشر الجن: الأشرار منهم وهم الشياطين الذين يغوون الناس فإنهم أهل للخطاب بقوله سبحانه: **(قَدِ استكثرتم مّنَ الإنس)** أي أكثرتم من إغوائهم وإضلالهم.

والنداء هنا للتبكيت، ولبيان أنهم وإن تمردوا في الدنيا فإنَّ حالهم في الآخرة ينتهي إلى الاستسلام والانقياد والاعتراف بالجرم[3].

ومن **نداء الناس ما يرد بلفظ الواحد**، والمقصود به العموم كالنداء في قوله تعالى: **(يَأَيّهَا الإِنسَانُ مَا غَرّكَ بِرَبّكَ الْكَرِيمِ)**[4]، وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)**[5].

والنداء بـ "يا أيها الإنسان "للتنبيه، واستدعاء معاني الإنسانية التي أودعها الله (ﷻ) في الإنسان، من قوى عاقلة مدركة، من شأنها أن تميز بين الخير والشر، وتفرق بين الإحسان والإساءة، وهذا يشمل الجميع، وإنما عبر بلفظ

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٢ – ١٢٠ ، والبحر المحيط ٤ – ٦٤٧.

(٢) سورة الأنعام آية رقم: ١٢٨.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٣–١٨٤، وروح المعاني ٤–٢٧٠، ومفاتيح الغيب ١٣–١٤٧.

(٤) سورة الانفطار آية رقم: ٦.

(٥) سورة الانشقاق آية رقم: ٦.

الواحد لأنَّه قائم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين وذلك لبيان مسئولية كل فرد عن نفسه بخلاف اللفظ العامّ[1].

وأمَّا الثاني: أي النداء بوصف البنوة للأب الأوَّل سيدنا آدم (عليه السلام) "يا بني آدم"[2] فيكثر عندما يتعلق بالنصيحة والعظة والتحذير والمِنَّة وهو نداء للناس كافة..

وقد ورد هذا النداء في خمسة مواضع من القرآن الكريم، أربع منها في سورة الأعراف، وهي في قوله تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)**[3] وقوله تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**[4]

---

(١) ينظر:، التفسير القرآني للقرآن ١٦ – ١٤٨٠. د – عبد الكريم يونس الخطيب. ط/دار الفكر العربي – القاهرة، وتفسير السراج المنير ٤ – ٥٠٦ ــ للإمام: محمد بن أحمد الشربيني الخطيب. ط/مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ، والأصلان في علوم القرآن ١– ٣٠٩ لـ أ. د. محمد عبد المنعم القيعي. ط: الرابعة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م بدون.

(٢) النداء بـ" يَا بَنِي آدم" دليل على أنّ من انتمى إلى شخص، ولو بوسائط كثيرة، يطلق عليه أنه ابنه، وعليه" يَا بَنِي إسرائيل" ويُسمى ذلك أبًا. قال تعالى: **(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)** [الحج ٧٨]. (البحر المحيط ١ – ٢٨١).

(٣) سورة الأعراف آية رقم: ٢٦ – ٢٧.

(٤) سورة الأعراف آية رقم: ٣١.

وقوله تعالى: **(يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**[1].

وموضع واحد في سورة يس في قوله تعالى: **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**[2].

لكن لماذا كثر هذا النداء في سورة الأعراف؟

ولمعرفة ذلك ننظر في سياق الآيات التي ورد فيها النداء بـ"يَا بَنِي آدَمَ"، حيث نجد أن هذه النداءات جاءت متوالية بعد الحديث عن قصة آدم وزوجه عليهما السلام، وما قام به إبليس من إغواء لهما كان سبباً في إخراجهما من الجنة.. كل ذلك بتفصيل أكثر عما ورد في سورة البقرة. "فكان ذلك سبباً في اختيار استحضارهم عند الخطاب بعنوان (بني آدم) وذلك أن شأن الذرّية أن تثأر لآبائها، وتعادي عدوّهم، وتحترس من الوقوع في شَرَكه"[3].

كما أن حالة البشر من الضعف، وسرعة انخداعهم بوسوسة الشيطان استدعى ندائهم "بما يفهم منه الاستعطاف والتراؤف والتحنن والترفق والاستضعاف: **(يا بني آدم)**"[4] ليكونوا بتلك النصيحة على حذر من عدوهم.

وهذا شأن الناصحين المقبلين بشفقتهم على المنصوح من استخدام مثل هذا النداء المشعر بالعطف والحرص عليه فهذا يعقوب (عليه السلام) ينادى على بنيه: **(يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)**[5] وينادي على

(١) سورة الأعراف آية رقم: ٣٥.

(٢) سورة يس آية رقم : ٦٠.

(٣) التحرير والتنوير ٨ – ٧٣ بتصرف يسير.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣ – ٢١. لـ/ برهان الدين البقاعي. ط/دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١هـ – ١٩٩٥م.

(٥) سور البقرة آية رقم: ١٣٢.

يوسف (عليه السلام): **(يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**[1] وهذا لقمان (عليه السلام) لا ينادي ابنه إلا بوصف البنوة: **(يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**[2] وقوله كذلك: **(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)**[3].

وهذا إبراهيم (عليه السلام) لا ينادى أباه إلا بوصف الأبوة: **(يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً * يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً *يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياً)**[4] إلى غير ذلك مما ورد كثيراً في كتاب الله – تعالى–.

وتكرار النداء بمثل هذه الصيغة كما ورد في سورة الأعراف، ولقمان ومريم مما يدل على أن مقام العطف والموعظة يستدعي إطناباً، فنداء البشرية بـ (يا بني آدم) أربع مرات، ونداءُ إبراهيم (عليه السلام) لأبيه: "يا أبت "أربع مرات كذلك، تكريرٌ اقتضاه مقام الاستنزال إلى قبول الموعظة لأنها مقام إطناب، وللإيذان بكمال الاعتناءِ بمضمون ما صدر به. وكذلك تكرير لقمان قوله: "يا بُنيَّ " ثلاث مرات، وعُدَّ تكرار النداء في مقام التذكير والوعظ من سنن

(١) سورة يوسف آية رقم ٥.
(٢) سورة لقمان آية رقم: ١٣.
(٣) سورة لقمان آية رقم: ١٦ – ١٧.
(٤) سورة مريم آية رقم: ٤٢ – ٤٥.

العربية، بخلاف قول نوح لابنه: **(يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَــا)**[١] مرة واحدة دون تكرير لأنّ ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز[٢].

وأما عن **الموضع الخامس** الذي ورد فيه النداء بـــ"يا بني آدم "أي في قوله تعالى في سورة يس: **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)**[٣].

فهو في سياق الحديث عن يوم القيامة وما فيه من ثواب للمطيعين، وعذاب للعاصين ومن ثمَّ فالنداء في الآية "للتقريــع والإلــزام والتبكيــت بــين الأمــر بالامتياز: **(وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)**[٤] وبين الأمر بدخول جهــنَّمَ بقولــه تعالى: **(اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)**[٥]".[٦]

وبذلك تنتظم المواضع الأربعة الواردة في سورة الأعراف مــن الوصــية والموعظة والتحذير من الشيطان **(يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَــنَّكُمُ الــشَّيْطَانُ)** وتكــرار النداء، مع الموضع الخامس الذي ضيع فيه من ضيع هذه الوصية وبنفس النداء **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)** لكنه على طريق التبكيت.

---

(١) سورة هود آية رقم: ٤٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٣ – ٢٢٢، والتحرير والتنوير ١٦ – ١١٤ وتفــسير الإمــام المراغي ٨ – ١٢٦. ط مصطفى البابى الحلبي. ط/ أولى، ١٣٦٥هـــ – ١٩٤٦م.

(٣) سورة يس آية رقم: ٦٠.

(٤) سورة يس آية رقم: ٥٩.

(٥) " " " " : ٦٤.

(٦) إرشاد العقل السليم: ٧ – ١٧٤ بتصرف.

المطلب الثاني
من النداء التكليفـــــي

نداء الشعوب ويسمى أيضاً نداء النسبة[١].

نادى الله (ﷻ) على طوائف من البشر ونادى على بني إسرائيل، وذاك في ستة مواضع؛ أربع منها من نداء الله – تعالى– لهم في قولـــه – تعـــالى– فـــي سورة البقرة: **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)**[٢] وقوله تعالى في سورة البقرة أيضاً: **(يَا بَنِـــي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَـــضَّلْتُكُمْ عَلَـــى العَـــالَمِينَ)**[٣] وتكرر هذا النداء في الآية رقم: ١٢٢ من ذات السورة الكريمة.

والموضع الرابع في سورة طه في قوله تعالى: **(يَـــا بَنِـــي إِسْـــرَائِيلَ قَـــدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَـــنَ وَنَزَّلْنَـــا عَلَـــيْكُمُ المَـــنَّ وَالسَّلْوَى)**[٤].

وتكرار نداء الله – تعالى– لهم إنما هو "للتأكيد والتـــذكير بـــالنعم، ومنهـــا التفضيل المشار إليه في الآيتين ٤٧ و ١٢٢ من سورة البقرة وهو مـــن أجـــل النعم.."[٥].

ومعنى أمرهم بـــ"ذكر النعمة في قوله تعالى: **(يَا بَنِـــي إِسْـــرَائِيلَ اذْكُـــرُوا نِعْمَتِيَ)** أي شكرها، والمراد بقوله تعالى: **(نِعْمَتِي)** أي: نعمـــي، لفظهـــا واحـــد

---

(١) فتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ص ١٦٠، وبحر العلوم ١ – ٥٩.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ٤٠.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ٤٧.

(٤) سورة طه آية رقم: ٨٠.

(٥) تفسير البيضاوي ١ – ٧٨ بتصرف يسير.

ومعناها جمع كقوله تعالى: **(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا)**[1] ومن تلك النعم عليهم: فلق البحر وإنجائهم من فرعون بإغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، أو هي جميع النعم التي للَّه (ﷻ) على عباده"[2].

وتفضيلهم على العالمين كان في عصر موسى (عليه السلام) وبعده قبل أن يغيروا[3].

"ولما كان تفضيل الآباء شرف للأبناء فقد صح نداؤهم بهذا التفضيل في عهد رسول الله (ﷺ) ويؤيده ما ذكر في قوله تعالى: **(وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)**[4] عقب ندائهم بقوله: **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)** ولا يقال لمن مات من أسلافهم: **(وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم)**، إذ نزول القرآن المصدق لما معهم لم يكن في عهد أسلافهم"[5].

ونداؤهم بتلك النسبة إلى يعقوب (عليه السلام) بلقبه (إسرائيل) دون اسمه لما يدل عليه هذا اللقب من دلالات العبودية لله – تعالى– حيث إن هذا اللقب "مركب من إِسرَا: وهو العبدُ، وإِيلَ: اسم من أسماء الله – تعالى–، فكأنه عبد الله، وذلك

(١) سورة النحل آية رقم: ١٨.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن ١ – ٨٦ للإمام البغوي. ط/ دار طيبة – ط: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٣) محاسن التأويل ١ – ٣٠٢.

(٤) سورة البقرة آية رقم: ٤١.

(٥) ينظر: تفسير القرآن١– ٣١. للشيخ/ العز بن عبد السلام. ط/ دار ابن حزم – بيروت، ط/أولى:١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، والبحر المحيط ١ – ٢٨١.

باللسان العبراني..وقيل: معنى إسرا: صفوة، وإيلَ: الله – تعالى–، فمعناه: صفوة الله.

فكأنه قيل: يا بني عبد الله، أو يا بني صفوة الله، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله، فتضيفه إلى ما يحرِّكه لطاعة الله، لأن الإنسان يحبّ أن يقتفي أثر آبائه، وإن لم يكن بذلك محمودًا، فكيف إذا كان محمودًا؟..

فإضافتهم إلى إسرائيل تشريف، وتهييجٌ لهم بذكر نسبتهم لهذا الأصل الطيب[1]".

واختصاصهم بالنداء دون نداء شعوب الأرض "لكثرة ما عالج الله (ﷻ) به هذا الشعب من النعماء والضراء، ثم لم تنفع معهم تلك المعالجة قديماً وحديثاً، وكان لله (ﷻ) عليهم فضل عظيم في شخص أبيهم (إسرائيل)، يجب عليهم أن يذكروه وأنْ يقدروه، فيتحولوا عن موقف المكابرة والعناد إلى موقف الاستجابة والطاعة [2]".

ويبقى من المواضع الستة موضعان كلاهما من نداء عيسى (عليه السلام) لهم في قوله تعالى: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)**[3] وقوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ**

(١) ينظر: البحر المحيط ١ – ٢٧٧ ، ٢٨١.

(٢) فتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ص ١٦٠.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ٧٢.

مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[1].

ورغم ما كان بينهم وبين موسى (عليه السلام) من أحداث ووقائع ذكرها القرآن الكريم إلا أنه لم ينادهم في أي مرة بهذا النداء كما ناداهم عيسى (عليه السلام)، وإنما كان يناديهم بـ "يا قوم "فما السرُّ في ذلك؟

للمفسرين تأويلات في هذا الأمر منها:

أنَّ عيسى (عليه السلام) ناداهم بهذا لأنه لا نسب ولا أب له فيهم فيكونوا قومه[2].

أو أنه (عليه السلام) – كما ذكر صاحب الإرشاد – "ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه في قوله: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ "فإن تصديقه (عليه السلام) إياها من أقوى الدواعي إلى تصديقهم إياه"[3].

أو إشارة إلى أنه عامل بالتوراة وأنه مثلهم في أنه من قوم موسى (عليه السلام) هضماً لنفسه بأنه لا أتباع له ولا قوم[4].

أو"لأن بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بعنوان (بني إسرائيل) ولم يطلق عليهم عنوان: قوم موسى، إلا في مدة حياة موسى خاصة فإنهم إنما صاروا أمة وقوماً بسببه وشريعته.

---

(١) سورة الصف آية رقم: ٦.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي ٥ – ٢٠٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢– ٣٧١، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن ١٤ – ١٠٠.

(٣) إرشاد العقل السليم ٨ – ٢٤٤.

(٤) روح المعاني ١٤ – ٢٨٠.

فأما عيسى فإنما كان مرسلاً بتأييد شريعة موسى، والتذكير بها وتغيير بعض أحكامها، ولأن عيسى حين خاطبهم لم يكونوا قد اتبعوه ولا صدّقوه فلم يكونوا قوماً له خالصين"[١].

قلت: وقد يضاف إلى ذلك أنه (عليه السلام) لم ينادهم بـ "يا قوم" المشعر بالود والمناصحة والعطف والملاطفة[٢].. حتى لا يظن بنو إسرائيل أنه يخص من بينهم الحواريين الذين صدقوه واتبعوه، فناداهم بما يعمهم ليكونوا جميعاً على قدر المسئولية تجاه ما ناداهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، وبشراه برسالة محمد (صلى الله عليه وسلم)، فيزداد المقر منهم بذلك يقيناً، وتقام الحجة على من لم يسلِّم بذلك منهم.

ولما لم يكن اليهود على هذا التقسيم البيِّن في عهد موسى (عليه السلام) فقد ناداهم بـ "يا قوم "لأنه لا يفهم منه إلا جميعهم من الأسباط الإثني عشر، ولم يخلص موسى (عليه السلام) منهم بحواريين كما خلص عيسى (عليه السلام).

والقول بأنه لم ينادهم بـ "يا قوم" لأنه لا نسب ولا أب له فيهم فيكونوا قومه.. ليس من القوة بمكان، فـ"لوط (عليه السلام) لم يكن له نسب في الذين أرسل إليه من سدوم"[٣]، ومع ذلك فقد كان يناديهم بـ"يا قوم "مستعطفاً لهم بهذا النداء. والله أعلم.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨ – ١٨٠.

(٢) نداء الرسل لأقوامهم بـ"**يا قوم**" له أكثر من دلالة.. فقد يقصد الرسول تذكير قومه بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصحة، وأنه يهمه ما يهمهم، أو يقصد التحبب إليهم بهذه الإضافة، أو استعطافهم وإن لم يكن منهم.(ينظر المواضع التالية من نظم الدر ٧ – ٢٧٧، ٧ – ٤٢٧، ٧ – ٤٣٤، ٧ – ٤٣٦، ٩ – ٣٤٠).

(٣) التحرير والتنوير ٨ – ٢٢٩.

المطلب الثالث
من النداء التكليفـــي

نداء الطوائف[1]:

وهذا في القرآن الكريم على نوعين:

أحدهما: نداء طائفة اليهود والنصارى بوصف "أهــل الكتــاب" وقــد ورد نداؤهم بهذا الوصف في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم؛ ستة منهــا فــي سورة آل عمران وموضع واحد في سورة النساء والخمسة الباقية فــي ســورة المائدة.

ولا يخفى ما في سياق هذه السور الثلاث من "ورود الحديث عــن عيــسى (عليه السلام)، وطغيان كل فريق من أهل الكتاب في الافتراء على نسبه ونفي رسالته، أو التشكيك في حقيقته البشرية، وكذلك ادعائهم أن إبراهيم (عليه السلام) كان يهودياً أو نصرانياً.. وكتمانهم رسالة محمد (ﷺ) إلى غير ذلك.."[2].

ومن ثمَّ عُدَّ نداؤهم بهذا الوصف إمَّا: "**ترغيباً وإغراءً لهم**، لتلبيــة الحــق الذي يُدْعون إليه وطرح ما سواه من أمور الشرك التي تلبسوا بها، وذلــك فــي قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُــدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّــوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)**[3].

---

(١) فتح الخبير في أدوات التفسير ج٢– ص١٦١. ويسميه الإمام الزركشي خطاب النــوع. (ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢ – ٢٢٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر ٥ – ٥١٩.

(٣) سورة آل عمران آية رقم: ٦٤.

وقوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)**(١).

وقوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)**(٢).

وقوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**(٣).

وإما **تبكيتاً لهم** على ما كانوا يرتكبون من أفانين التضليل وأنواع التشكيك التي كانوا يحاربون بها الدعوة المحمدية، قال- تعالى-: **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)**(٤) وقوله تعالى: **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ *يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**(٥).

---

(١) سورة النساء آية رقم: ١٧١.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ١٥.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ١٩.

(٤) سورة آل عمران آية رقم: ٦٥.

(٥) سورة آل عمران آية رقم:٧٠ - ٧١.

وقوله تعالى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**[1]"[2].

"وتكرار ندائهم بهذا الوصف في هذا الموضع وسابقه مع أنه أبعد في التقريع إلا أنه أيضاً أقرب إلى التلطف في صرفهم عن طريقتهم في ضلالهم والإضلال وأدل على النصح لهم في الدين والإشفاق"[3].

وأيضاً ندائهم مرة بـ "يَا أَهْلَ الكِتَابِ "بدون واسطة بينهم وبين المنادي (ﷻ)، ومرة بـ "قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ" بواسطة محمد (ﷺ) مما زاد الأمر المنادَى من أجله تأكيداً كأنهم نودوا بكل سبيل، كما أنَّ فيه رفعة لقدر رسول الله (ﷺ) وإثبات تبليغه عن الله – تعالى– لهم مع ما يلزم ذلك من وجوب اتباعه (ﷺ).

أو أنَّ الأمر كما قال الإمام الراغب: "وقد جاء "يا أَهْلَ الْكِتابِ" بدون "قُلْ"، وَجَاءَ بـ"قُلْ" فبدون "قُلْ" هو استدعاءٌ منه – تعالى– لهم إلى الحق، فجعل خطابهم منه استلانةً للقوم ليكونوا أقرب إلى الانقياد. ولمَّا قصد الغضَّ منهم ذكر "قُلْ "تنبيهًا على أنهم غير متساهلين أن يخاطبهم بنفسه، وإن كان كلا الخطابين وَصلَ على لسان النبي (ﷺ) "هـ[4].

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ٩٨ – ٩٩.

(٢) فتح الخبير في أدوات التفسير ص ١٦١ بتصرف شديد.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ٨ – ٣٠٨، ونظم الدرر ٥ – ١١.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني ٢ – ٧٤٦. ط/دار الوطن – الرياض.ط/أولى١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م. تحقيق: د/عادل ابن علي الشِّدِي.

وقد جاء نداؤهم باسم الموصول في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وَجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً)**[1].

والتهديد الوارد في هذه الآية الكريمة مما كان سبباً في أن ترد صيغة النداء متضمنة لمعاني التأكيد والتنبيه.. وذلك في حرف النداء "يا" الموضوع لنداء البعيد دلالة على شدة غفلتهم، وبعدهم عن الحق، وعلى القول بأنها لمتوسط البعد فالمد أسباب الأمل، واهتبال الفرصة قبل فواتها أو أنهم بين هاوية اللعن وبين الإيمان المنجي منها.

ثم مجيء "أي" للتوصل إلى نداء ما فيه أل مع ما فيه من التأكيد و"ها "التنبيه "الدال على معاضدة ومكاتفة حرف النداء لتأكيد معناه..

النوع الآخر من نداء الطوائف: نداء طائفة الذين آمنوا بسيدنا محمد (ﷺ) وبكلِّ ما يجب الإيمان به – نداء هذه الطائفة بوصف المؤمنين "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** "على سبيل المدح[2]؛ إذ إنهم – وبحكم هذا الوصف – أقدر على الاستجابة، وامتثال ما طلب منهم، وكلفوا به. وتنبيهاً في نفس الوقت إلى رفعة شأنهم وامتداح أمرهم عند ربهم.

وقد ورد نداء هذه الطائفة بوصف الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بلغت تسعة وثمانين موضعاً[3]، وبهذا يفوق نداء هذا النوع من حيث

---

(١) سورة النساء آية رقم: ٤٧.

(٢) ينظر: بحر العلوم ١ – ٣٣، والبرهان في علوم القرآن ٢ – ٢٢٨.

(٣) هذه المواضع كما يلي: في سورة البقرة سَبَعة، وفى سورة آل عمْرانَ تسعة، وفي سورة النِّساءُ ستَّةَ عَشَر، وفى سورة المائدة ستَّة، وفى سورة الأَنفال ستَّة، وفى سورة بَراءة ستَّة، وفى سورة الحجّ واحدةٌ، وفى سورة النُّور ثلاثة، وفى سورة الأَحزاب سَبْعة، وفى سورة محمّد (ﷺ) اثْنان، وفى سورة الحُجُرات خمسة، وفى سورة الحَديد واحد، وفى=

الإحصاء العددي جميع أنواع النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم، مما يدلُّ على رفعة شأن تلك الطائفة، وقربها من رب العالمين (ﷻ)، كما يدل أيضاً على قدر المسئولية تجاه ما كلفت به.. "وهذا واضح وبيِّن فيما ورد في تلك النداءات من امتثال الأحكام والعمل بمقتضاها، وكذلك الحث على الأخلاق والتحلي بها"[1].

ومن ثمَّ فلهذا النداء أهمية كبرى؛ إذ عليه تبنى جُلُّ التشريعات الإسلامية، وما ينبغي على أمة الإسلام امتثاله، ليظهر بذلك سمتها، ومكانتها بين الأمم، لذلك لا نجد هذا النداء إلا وهو يدور على إِحْكام عقيدة التوحيد، وتقوى الله (ﷻ)، وما يندرج تحت ذلك من أحكام الشريعة من الوجوب أو الحرمة أو الندب إلى غير ذلك من التكاليف الشرعية، والآداب والأخلاق الاجتماعية.

وقد ورد عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: "إذا سمعت الله – تعالى– يقول: "يا أيها الذين آمنوا "فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر يَنْهَى عنه"[2].

والمواضع الوارد فيها هذا النداء على ثلاثة أقسام وهي – كما ذكر صاحب كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز – **أَمرٌ صريحٌ** مثل قوله

=سورة المُجادَلة ثَلاثَة، وفى سورة الحَشْر واحد، وفى سورة المُمْتَحَنَة ثَلاثة، وفى سورة الصفّ ثلاثة، وفى سورة الجُمْعة واحد، وفى سورة المنافقين واحد، وفى سورة التَّغَابُن واحد، وفى سورة التَّحريم واحد.

(١) ينظر: فتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ١٦٢.

(٢) ذكره أبو نعيم في الحلية ١– ١٣٠. ط/دار الكتاب العربي – بيروت، وابن المبارك في الزهد والرقائق ١ – ١٢. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ – ١٩٦. ط/المكتبة العصرية – بيروت.

تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ)**[١] وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)**[٢]..

أَو **نهْى فصيح** مثل قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا)**[٣]، وقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بالمن والأذى..)** الآية[٤].

أَو **متضمِّن لأَحدهما بتعريض لا بتصريح** مثل قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ..)** الآية[٥] وهذا أَمرٌ أي، اشْتَغِلُوا بأَنْفُسكم.. وقوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الذين أُوتُواْ الكتاب يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)**[٦] أَي لا تطيعوهم"[٧].

ولَمْ يُسبق نداء تلك الطائفة بِلَفْظِ "قُلْ "مثل طائفة أهل الكتاب؛ والكفار[٨] لـ"يكون ذلك خطابًا منه تعالى لهم وتأنيسًا لهم"[٩].

ولكون المؤمنين مبلغين للناس دعوة الرسول (ﷺ) فكأنهم عند أدائها في مقام الرسالة التي تتلقى عن الله مباشرة.

"وهذا من الخيرية التي تميزت بها هذه الطائفة كما قال تعالى: **(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ**

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ١٥٣.

(٢) " " " " : ١٧٢.

(٣) " " " " : ١٠٤.

(٤) " " " " : ٢٦٤.

(٥) سورة المائدة آية رقم: ١٠٥.

(٦) سورة آل عمران آية رقم: ١٠٠.

(٧) بصائر ذوي التمييز ٥/٤٢٢- ٤٣٧ بتصرف وإيجاز.

(٨) في قوله تعالى: **(قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون)**[الكافرون ١-٢].

(٩) ينظر: البحر المحيط ٣ – ٢٨١.

آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ)[١] وكذلك الوسطية كما قال تعالى: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..)**[٢] فجعلهم في ذلك بمنزلة الأنبياء"[٣].

* ويدخل في **نداء طائفة الذين آمنوا، ندائهم بإضافتهم إلى المتكلم (ﷻ) في قوله: (يا عبادي)** ويسمى نداء الإضافة[٤].

وقد ورد ندائهم بهذه الإضافة في خمسة مواضع من القرآن منها ثلاثة في سورة الزمر في قوله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)**[٥] وقوله تعالى: **(لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)**[٦] وقوله تعالى: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)**[٧].

وموضعان آخران أحدهما في سورة [العنكبوت آية ٥٦] في قوله تعالى: **(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)** والثاني في سورة

---

(١) سورة آل عمران آية رقم: ١١٠.

(٢) سورة البقرة آية رقم: ١٤٣.

(٣) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني ١ – ٢٦ ط/ كلية الآداب – جامعة طنطا، ط – أولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م. تحقيق ودراسة: د– محمد عبد العزيز بسيوني.

(٤) بحر العلوم ١ – ٥٩.

(٥) سورة الزمر آية رقم : ١٠.

(٦) " " " " : ١٦.

(٧) " " " " : ٥٣.

[الزخرف آية ٦٨] في قوله تعالى: **(يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)**.

ولا خلاف في أن المراد بالعباد في هذه النداءات الخمس هم المؤمنون إلا الموضع الثاني والثالث من سورة الزمر فقد قال بعض المفسرين: المراد بالعباد في الموضعين المؤمنون والكافرون، وذكر بعضهم أن العباد في الموضع الثالث هم الكافرون(١).

ورجح آخرون كالإمام الرازي أن هذين الموضعين كذلك في حق المؤمنين.

قال الإمام الرازي مبيناً وجه هذا الترجيح: "عُرف القرآن جار بتخصيص العباد بالمؤمنين قال تعالى: **(وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً)**(٢) وَقَالَ: **(عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ)**(٣) ولأنَّ لفظ العباد مذكور في معرض التعظيم فوجب أن لا يقع إلا على المؤمنين إذا ثبت هذا ظهر أن قوله "يا عبادي "مختص بالمؤمنين ولأن المؤمن هو الذي يعترف بكونه عبد الله أما المشركون فإنهم يسمون أنفسهم بعبد اللات والعزى وعبد المسيح فثبت أن قوله "يا عبادي "لا يليق إلا بالمؤمنين "هـ(٤).

وكلام الإمام الرازي هنا يحمل على ما إذا أضيف لفظ عباد إلى الله (ﷻ) وإلا فلفظ عباد ليس في كل الأحوال يراد به المؤمنون كما في قوله تعالى: **(يَا**

---

(١) ينظر: بيان المعاني ٣ – ٥٣١. لـ/ عبد القادر بن ملاَّ حويش السيد محمود آل غازي العاني. ط/ مطبعة الترقي – دمشق – ط: أولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م، والتحرير والتنوير ٢٤ – ٤٠.

(٢) سورة الفرقان آية رقم: ٦٣.

(٣) سورة الإنسان آية رقم: ٦.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٠ – ٣٥٤، وكذلك ذكر الشيخ المراغي في تفسيره ٢٤ – ٢٢.

حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ)[1] فالذين يستهزئون برسل الله ليسوا بمؤمنين.

وتخصيص نداء طائفة المؤمنين بتلك الإضافة لما خصوه (ﷻ) بالعبادة، كما أنَّ إضافتهم إلي ضمير الجلالةِ فيه مزيدُ اعتناءٍ بشأن المأمور به، وفيه غايةِ اللُّطفِ والمرحمةِ[2].

مع ما في حرف النداء من رفعة منزلتهم والاهتمام بالأمر المنادى من أجله إن كان للبعيد، وعلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من رجائه والخوف منه إن كان لمتوسط البعد.

*** ومن نداء طائفة المؤمنين نداؤهم بوصف (أولي الألباب)** في قوله تعالى: **(وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)**[3] وقوله تعالى: **(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)**[4] وقوله تعالى: **(قُل لاَّ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[5] وقوله تعالى: **(فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً)**[6].

والألباب جمع لُبٍّ، ولبُّ كل شيء: خالِصُه، ولذلك قيل للعقل: لُبٌّ.

---

(١) سورة يس آية رقم: ٣٠.

(٢) ينظر: نظم الدرر ١٧ – ٤٧٧، وإرشاد العقل السلم ٧ – ٢٤٦، ٢٤٨، وروح المعاني ٢٣ – ٢٥٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ١٧٩.

(٤) " " " : ١٩٧.

(٥) سورة المائدة آية رقم: ١٠٠.

(٦) سورة الطلاق آية رقم: ١٠.

وخَصَّ أولي الألباب بالخطاب – وإن كان الأمر يعم الكل – لأنهم الذين قامت عليهم حجة الله، وهم قابلو أوامرِه والناهضون بها[١].

ولذلك لم يأت نداء من الله – تعالى – للكافرين إلا في موضع واحد في سورة التحريم في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** وهذا النداء – كما هو ظاهر – ليس في الدنيا إذ ليس لهم أهلية الخطاب، وإنما هو في الآخرة، وهي ليست دار تكليف ــ فنداؤهم في هذه الآية للقهر والتيئيس والتحقير.. ويدلُّ على ذلك أنَّ اعتذارهم أو عدمه لا اعتداد به في الحالتين إذ لن يحصل من هذا أو ذاك قبول منهم.

وهناك موضع آخر لكنه ليس من نداء الله – تعالى – لهم وإنما هو من نداء النبي (ﷺ) لهم بأمر من ربه (ﷻ) أن يتبرأ منهم في قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)**[٢].

* وقد يضاف إلى نداء طائفة المؤمنين **نداؤهم بوصف (أُوْلِي الأَبْصَارِ)** وهو في موضع واحد فقط في سورة الحشر في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ)**[٣] وذلك على قول مَنْ قال: إن المراد بنداء أولي الأبصار في الآية

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢ – ٤١٢.
(٢) سورة الكافرون آية رقم: ١ – ٢.
(٣) سورة الحشر آية رقم: ٢.

الكريمة هم المؤمنون لأنَّ الاعتبار عظيم النفع، وهو لا يحصل إلا للكُمَّل[1] والمعنى: اعتبروا يا أولي الأبصار، بالنظر بأبصاركم وبصائركم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله (ﷺ) من إظهار دينه وإعزاز نبيه ولا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين[2].

* ويدخل في ندائهم أيضاً **نداء أنفسهم الزكية** في قوله تعالى: **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي)**[3] على القول بأن المنادِي لهم هو رب العزة (ﷻ) كما كلَّم موسى (عليه السلام)[4].

والنداء هنا عام في كلِّ نفس مؤمن مخلص طائع[5] ويكون هذا النداء إما عند الموت، أو عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث، أو عند دخول الجنة،

---

(١) ويرى البعض – منهم صاحب التحرير والتنوير –[٢٨ – ٧٢] أنه عام لكلِّ ذي بَصر ممن شاهد ذلك، ولكلِّ ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم، ويرى آخرون أنه خاص بيهود بني النضير أو بني قريظة أو الكفار. [ينظر: تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) ٩ – ٥٧٩.

(٢) نظم الدرر ١٩ – ٤١١. وينظر: تفسير البيضاوي ٥ – ١٩٨، وإرشاد العقل السليم ٨ –٢٢٦.

(٣) سورة الفجر آية رقم: ٢٧ – ٣٠.

(٤) وقيل: إن المنادي لهم ملَكٌ من الملائكة. ينظر: الكشاف ٤ – ٧٥٢، ومفاتيح الغيب ١٣ – ١٦١، وإرشاد العقل السليم ٩ – ١٥٩، وروح المعاني ١٥ – ٣٤٥.

(٥) وقيل إن الآية خاصة برسول الله (ﷺ) أو ببعض أصحابه (ﷺ) كأبي بكر الصديق أو حمزة أو عثمان أو خبيب بن عدي، (ﷺ) أجمعين. ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥١٣/٨ – ٥١٤، ولباب النقول في أسباب النزول ١ – ٢١١. للإمام=

أو هو الآن للمؤمنين؛ على معنى أنه – تعالى– لمَّا ذكر حال الكفار قال: يا مؤمنون داوموا وجدوا حتى ترجعوا راضين مرضيين[١].

المطلب الرابع

من النداء التكليفي

نداء الجماعة المحدودة العدد؛ وهذا في القرآن الكريم لأزواج رسول الله (ﷺ) تعظيماً لمقامهنَّ وتنبيهاً على أنهنَّ قدوة لغيرهن.. وأنهنَّ وبحكم ذلك تكثر المسئولية عليهن ويعظم الأجر والثواب لهن إن اتقين وأحسنّ كما يضاعف لهن العذاب إن أتين ما أوجب الله العقوبة على فعله[٢]..

وذلك في موضعين اثنين فقط في سورة الأحزاب؛ الموضع الأول في قوله تعالى: **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)**[٣].

والثاني في قوله – تعالى–: **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)**[٤].

وندائهن في هذين الموضعين لما ورد في السورة الكريمة من ذكر كثير من أحوالهن مع رسول الله (ﷺ) وما خصصن به من أحكام؛ ككونهن أمهات

=السيوطي ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤ – ٤٢٨. للإمام الخازن. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط: أولى – ١٤١٥هـ.

(١) ينظر: جامع البيان ٢٤ – ٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ – ٥٨، والبحر المحيط ١٠ – ٤٧٧.

(٢) فتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ص ١٦٥ بتصرف.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم: ٣٠.

(٤) " " " " : ٣٢.

المؤمنين، وحرمة زواجهن بعد رسول الله (ﷺ).. فجاء ندائهن لإظهارِ الاعتناءِ بنُصحهنَّ.

"وفي إضافتهن إلى النبي (ﷺ) بلقب النبوة دون الاسم إعظام لمقامه (ﷺ) وتشريف لهن، ولأنَّ النبوة هي التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام"[١].

وفي إضافتهن إلى النبي (ﷺ) بلقب النبوة دون الرسالة لما في لقب النبوة من قصد اختصاصهن عن بقية الأمة؛ إذ لقب الرسالة يكون في مقام الأمر بالتشريع العام كما في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**[٢] أما في المقام الخاص فيناسبه لقب النبوة[٣]..

وهذا الترتيب بين الندائين يدل على التزامهن (رضي الله عنهن) بما أمرن به؛ حيث كنَّ على وعْيٍ عظيم بهذا التهديد والوعيد الوارد في النداء الأول وما ورد في لاحقه من الوعد لهن في قوله تعالى: **(وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً)**[٤]، ولمَّا كان الأمر كذلك، ارتقين ارتقاءً صحَّ معه أن يأتي النداءُ الآخر بما يميزهن عن غيرهن من النساء مع النهي **(فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ)** والأمر **(وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً)** المتضمنان للنصح والتوجيه.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٧ – ١٠١ والفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية ٢ – ١٥٥. لـ/ نعمة الله بن محمود النخجواني (ت: ٩٢٠هـ) ط/ دار ركابي– الغورية، مصر– ط: أولى،١٤١٩هـ–١٩٩٩م، وروح البيان ٧ – ١٦٦.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٦٧.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢ – ٢٢٩.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم: ٣١.

ومن الملاحظ في هذين الموضعين أن نداءه (ﷻ) لنساء النبي (ﷺ) جاء مباشرة بلا واسطة مع أنه قد سبق ندائهن بواسطة النبي (ﷺ) في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً)**[1].

فما الفرق بين ندائهن بواسطة وبغير واسطة في هذه المواضع؟ كذلك ما الفرق بين نداء الله تعالى لهن بلفظ "نساء النبي "دون" أزواج النبي "؟

يجيب على ذلك أ.د محمد محمد أبو موسى، فيقول: "يتجه الخطاب في قوله – تعالى– **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ)** من الله (ﷻ) إلى أمهات المؤمنين بلا واسطة، وقد قال في الآية الأولى (يَا **أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ)**؛ فخاطبهن بواسطة النبي (ﷺ)، وذلك مؤذن بخطورة الأمر الذي جاء الخطاب من أجله، فإن موضوع هذا الخطاب يعالج قضية من أعضل القضايا التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية، وهي قضية الأخلاق وسلوك النساء، ولذلك آثر هنا لفظ "النساء"، ولم يذكرن بلفظ "الأزواج" كما قال هناك **(قُل لأَزْوَاجِكَ)**... القضية هنا قضية نساء الأرض... والفاحشة التي يضاعف العذاب لهن من أجلها من المحال أن تقع في بيت النبوة، والكلام وارد على سبيل الفرض، والتقدير، مبالغة في التنفير من هذه الفاحشة، ومبالغة في بيان خطرها، وهو كلام يلوِّح بسوط العذاب، وبالغ النقمة، والغضب، على أرباب الخطيئة في الأرض"هـ[2].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ٢٨ – ٢٩.

(٢) من أسرار التعبير القرآني "دراسة تحليلية لسورة الأحزاب" ص ٢٦٣. د/محمد محمد أبو موسى. الناشر/مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

أما نداؤهن في قوله: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ)** فلأنَّ المقام مقام إنباء لأزواجه (ﷺ) وتبليغ بالاختيار في أمر خاص بهن، وأن الزوجية، ومقوماتها وما فيها من معاني الألفة، قائمة لا ضرورة للتفريط فيها(١).

"كما أنه (ﷻ) لم ينادهن نداءً مباشراً لأنهن في مقام يخيرن فيه بين الله ورسوله والدار والآخرة وبين الحياة الدنيا، فقد يكون في إقبال الله عليهن بالخطاب ما يحبب إليهن اختيار الله ورسوله، ولهذا قدم في الاختيار قوله: **(إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا)** على قوله: **(وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ)**.

وتكرار ندائهن في هذه الآيات يشير إلى أهمية الغرض الذي سيق الحديث من أجله، مع ما في حرف النداء "يا "من امتداد الصوت المؤذن بالبلاغ"(٢).

المطلب الخامس

من النداء التكليفي: نداء الأفراد أو الأشخاص(٣)

وهو إمَّا نداء بالاسم أو بالصفة أو بحالة صار إليها لمناسبة خاصة.

أمَّا نداء الأفراد بأسمائهم فهو في القرآن الكريم من الله – تعالى– لبعض خلقه كإبليس وبعض أنبيائه قبل زمن النبي (ﷺ).

---

(١) ينظر استخدام القرآن لكلمة الزوج والمرأة في كتاب: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ص ٢٩١ – ٢٩٦. لـ/ د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) من أسرار التعبير القرآني ٢٤٤، ٢٧٧ بتصرف.

(٣) فتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ص ١٥٧، ويسميه الزركشي: خطاب العين (البرهان ٢ – ٢٢٨).

أما نداؤه (ﷻ) لإبليس عليه اللعنة فلم يرد إلا في قصة سجود الملائكة لآدم (عليه السلام)، وإباء إبليس السجود معهم. وذلك في مثل قوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)[1] وقوله تعالى: **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)**(٧٥).

وهذا الخطاب له ليس للتشريف والتكريم، بل للتقريع والتوبيخ، ودلَّ على ذلك: نداؤه باسم "إبليس" وهو من الإبلاس ومعناه اليأس من كل خير، والسكون والانكسار، والحزن والتحير، وانقطاع الحجة والندم[2]. مما يناسبه نداؤه بـ(يا) على معني البعيد من رحمته (ﷻ).

كما أن في قوله تعالى: **(مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)**" من خلقه (ﷻ) بذاته لآدم (عليه السلام) من غير توسط أب وأم والتثنية في قوله "بيديَّ "كل ذلك لإبراز كمال الاعتناء بخلقه (عليه السلام) المستدعي لإجلاله وإعظامه.. وقصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ.

كم أن في صيغة الاستقبال **(مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)** إيماء إلى مزيد قبح حاله.. إلى غير ذلك"[3].

وظاهر هذا النداء يقتضي أن الله – تعالى– تكلم مع إبليس بغير واسطة، ولكن كيف يعقل هذا مع أن مكالمة الله – تعالى– بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب، فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم، ولعلَّ الجواب – كما ذكر الإمام الرازي – أن مكالمة الله – تعالى– إنما تكون منصباً

(١) سورة الحجر آية رقم: ٣٢.

(٢) نظم الدرر ٤ – ٢٢١.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم ٧ – ٢٣٦، وروح المعاني ٧ – ٢٩٠.

عالياً إذا كان على سبيل الإكرام والإعظام، فأمَّا إذا كان على سبيل الإهانة والإذلال فلا"[1].

كما لا يخفي ما في ندائه – تعالى– لإبليس –عليه اللعنة – بدون واسطة من مزيد التقريع فإن في عتاب العظيم لمن أخطأ في حقه بدون واسطة أشد نكاية، وإشعار بمزيد الندم، والحسرة.

وأما نداؤه (ﷻ) لبعض أنبيائه قبل زمن النبي (ﷺ)، فهو كثير في القرآن الكريم ومن ذلك نداؤه لآدم (عليه السلام) **(يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ)**[2] ولنوح (عليه السلام): **(يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)**[3] ولإبراهيم (عليه السلام): **(يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ)**[4] ولموسى (عليه السلام) **(يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ)**[5] ولعيسى (عليه السلام) **(يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..)** الآية[6].. إلى غير ذلك.

ويلاحظ في هذه المواضع أنه تعالى نادى هؤلاء الأنبياء بأسمائهم فما السرُّ في ذلك؟

يجيب على ذلك الشيخ / محمود شلتوت بقوله: "ناداهم بأسمائهم استنهاضاً لهمَمِهم كقوله – تعالى–: **(يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِياً)**[7]. أو

(١) مفاتيح الغيب ١٩ – ١٤٠.
(٢) سورة البقرة آية رقم: ٣٥.
(٣) سورة هود آية رقم: ٤٦.
(٤) سورة الصافات آية رقم: ١٠٤ – ١٠٥.
(٥) سورة القصص آية رقم: ٣٠.
(٦) سورة آل عمران آية رقم: ٥٥.
(٧) سورة مريم آية رقم : ١٢.

تنبيهاً إلى خطرِ ما كُلِّفوا به واصطفوا لأجله: **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)** [١] أو تهدئة لروعهم وتسكيناً لأفئدتهم: **(يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ)**[٢] "هـ"[٣]

قلت: وقد تظهر المفارقة أكثر في هذا النوع من النِّداء – أي نداء الاسم – عندما ننظر في النوع الثاني من نداء الأفراد وهو **النداء بالصفة** والمراد بها هنا "**صفة النبوة**" وهذا النِّداء في كتاب الله – تعالى– قد خصَّ به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ﷺ) فما ناداه ربُّه في كتابه إلا بـ "يا أيُّها النبيُّ "أو "يا أيُّها الرَّسُولُ".

وعلى ذلك نقول: إنَّ المعتاد في أمر نداء الأشخاص هو النِّداء عليهم بأسمائهم مع ما في ذلك من الإقبال عليهم، والتلطف بهم تهيئة لاستقبال ما يرد إليهم من ربهم من أمرٍ أو نهيٍ فإذا نادى الله – تعالى– على واحد بصفته فهذا ما يحتاج إلى زيادة نظر وتأمل..

والسؤال على ذلك: لماذا نادى اللهُ رسوله (ﷺ) بصفة النبوة دون اسمه (ﷺ) كسائر الأنبياء والمرسلين؟

---

(١) سورة ص آية رقم: ٢٦.

(٢) سورة القصص آية رقم: ٣١.

(٣) تفسير القرآن الكريم ص ٩٤ – ٩٥. للإمام الشيخ/محمود شلتوت. ط – دار الشروق، ط – الثانية عشرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م. بتصرف يسير

يقول الإمام الزمخشري (رحمه الله): "جعل نداءه بالنبيِّ والرَّسُول في قوله **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ)**[1] **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ)**[2] **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)**[3] وترك نداءه باسمه كما قال: يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود.. كرامة له وتشريفاً وربأ بمحله وتنويها بفضله.."هـ[4].

وعبارة الإمام الألوسي في ذلك: "ناداه – جلّ وعلا – بوصفه (عليه السلام) دون اسمه تعظيماً له وتفخيماً "هـ[5].

أمَّا قول البعض: إنَّه ربّما يكون نداء سائر الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في كتبهم أيضاً على نحو منه، وحكي في القرآن بأسمائهم لئلا يلتبس الأمر على السامع هل المذكور النبي (ﷺ) محمد (ﷺ) أم غيره من الأنبياء السابقين[6].

فإن هذا تعليل ضعيف إذ كان يمكن دفع هذا الالتباس بأن يضاف بعد ذكر الصفة اسم الرسول المنادى حقيقة فيقال مثلاً: يا أيُّها النبي إبراهيم يا أيُّها النبي موسى يا أيُّها النبي محمد.. الخ

فالأوْلى في تعليل ندائه (ﷺ) بالصفة أنْ يكون ذلك تعظيماً وتشريفاً وتكريماً له (ﷺ) تحقيقاً لمعنى الرفعة في قوله – تعالى–**(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)**[7]

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ١.

(٢) سورة التحريم آية رقم: ١.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ٦٧.

(٤) الكشاف ٣ – ٢٤٨.

(٥) روح المعاني ١٢ – ٢١٧.

(٦) ينظر: روح المعاني ١٢ – ٢١٧ ، وفتح الخبير في أدوات التفسير ج ٢ – ص ١٦٦،١٦٧.

(٧) سورة الشرح آية رقم: ٤.

وكذلك الأفضلية والسيادة كما نوَّه بذلك (ﷺ) على سبيل الشكر: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"(١)
وفي رواية "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢)..."(٣)

وقد نودي (ﷺ) بوصف النبوة في ثلاثة عشر موضعاً؛ ثلاثة في سورة الأنفال وهي:

١- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**(٤).

٢- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)**(٥) الآية.

٣- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**(٦).

وموضع واحد في سورة التوبة في قوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..)**(٧) الآية.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا (ﷺ) على جميع الخلائق.

(٢) خصَّ (يوم القيامة) لأنه لا ينازعه أحدٌ السيادة في هذا اليوم. أمَّا في الدنيا فقد ادَّعى ذلك لنفسه بعضُ ملوك الدنيا وزعماؤها بسبب ما آتاهم الله من مالٍ أو جاهٍ أو سلطان. أمَّا في ذلك اليوم فلا يبقى من ذلك شئ وتكون السيادة التامة في مواطن القيامة وشدائدها له (ﷺ) بفضل من الله عليه وتمكين له (ﷺ) وتشريف له. وبتسليم وإقرار بذلك من إخوانه النبيين والمرسلين، والملائكة المقربين.(السنن الزكية في الفضائل النبوية ص ٥٨ د/سعد سعد جاويش/ط/دار عطوة للطباعة ١٤٠٦هـ- - ١٩٨٦م.

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير باب (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا).

(٤) سورة الأنفال آية رقم : ٦٤.

(٥) " " " " : ٦٥.

(٦) " " " " : ٧٠.

(٧) سورة التوبة آية رقم: ٧٣.

ومواضع خمسة في سورة الأحزاب:

١- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)**[١].

٢- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً)**[٢].

٣- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)**[٣].

٤- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ..)** الآية[٤].

٥- **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ...)** الآية.[٥]

وموضع واحد في سورة الممتحنة في قوله – تعالى-: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[٦].

وموضع واحد في سورة الطلاق في قوله – تعالى-: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ..)** الآية [٧]

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم: ١.

(٢) " " " " : ٢٨.

(٣) " " " " : ٤٥.

(٤) " " " " : ٥٠.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم: ٥٩.

(٦) سورة الممتحنة آية رقم: ١٢.

(٧) سورة الطلاق آية رق-م: ١.

وموضعين في سورة التحريم في قوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)**[1].

وقوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ..)** الآية[2].

ونودي (ﷺ) بوصف الرِّسالة في موضعين فقط وكلاهما في سورة المائدة: في قوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[3].

وقوله – تعالى–: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)**[4].

والفرق بين ندائه (ﷺ) بوصف النبوة وبين ندائه بوصف الرِّسالة "أنَّ النداء بوصف النبوة يكون موجهاً إلى جزئيات من تكاليف الرسالة، وبخاصة ما يتصل بجهة التنفيذ أمَّا النداء بوصف الرسالة فلم يكن إلا في تحديد مهمة الرّسالة العظمى وما يتصل بها من تقوية القلب على أدائها، **(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)**[5] **(لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ)**[6] ولعلَّ ذلك يرجع إلى

---

(١) سورة التحريم آية رقم ١.

(٢)سورة التحريم آية رقم: ٩.

(٣) سورة المائدة آية رقم: ٤١.

(٤) " " " " : ٦٧.

(٥) سورة المائدة آية رقم: ٦٧.

(٦) " " " " : ١٧٦.

طبيعة لفظي (نبي) و (رسول) في اللغة العربية واقتضاء أولهما معنى العرفان والعلم واقتضاء الثاني مجرد التبليغ"[١].

قلت: وعلى أساس هذا الاختلاف اللغوي بين النبيّ والرسول نرى القرآن يغاير بينهما حسب ما يقتضيه السياق ومن ذلك أن يذكر النبيين والأنبياء في موضع لا يصلح فيه ذكر الرسل؛ وبيان ذلك أنَّ الله (ﷻ) قد تولَّى حفظ رسله من أن تمتد إليهم أيد آثمة، وذلك حتى يتمكن كلُّ رسولٍ من البلاغ عن ربِّه فهذا ما توجبه الحكمة في الإرسال تصديقاً لقوله ــ تعالى ــ: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)**[٢].

يقول صاحب التحرير والتنوير في تفسير قوله – تعالى–: **(وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ)**[٣]: "وإنَّما قال: (النبيين) لأنَّ (الرسل) لا تسلط عليهم أعداؤهم لأنه مناف لحكمة الرسالة التي هي التبليغ.. ومن ثمَّ كان ادعاء النصارى أنَّ عيسى قتله اليهود ادعاء منافياً لحكمة الإرسال ولكنَّ اللهَ أنهى مدةَ رسالته بحصول المقصد ممّا أرسل إليه"هـ[٤].

وما ورد من الآيات ينصر ذلك المعنى ويؤيده إذ أُوقِعَ لفظ القتل على(النبيين) دون (الرسل) من مثل قوله – تعالى–: **(قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)**[٥][٦]. وعلى العكس من ذلك نرى القرآن في جانب

---

(١) تفسير القرآن الكريم ص ٩٦.

(٢) سورة المائدة آية رقم: ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية رقم: ٦١.

(٤) التحرير والتنوير ١ – ٥٢٩.

(٥) سورة البقرة آية رقم: ٩١.

(٦) ومن مثل ذلك آية رقم: ٢١، ١١٢، ١٨١ من سورة آل عمران وآية رقم ١٥٥ من سورة النساء

(الرسل) يعبِّر بما يفهم منه الحفظ والنصرة في مثل قولـــه – تعـــالى –: **(إِنَّـــا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)**[1].

وفي ندائه (ﷺ) بوصف الرسالة في قوله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَـــا أُنْـــزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..)** ممَّـــا يعبِّر صراحة بحفظ الله لخير المرسلين محمد (ﷺ) من الناس عامة ويدخل فيهم اليهود دخولاً أولياً – كما ينبئ عنه سياق الآية – حيث جاءت في سياق الحديث عن أهل الكتاب فقبلها يقول – تعالى –: **(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَـــابِ آمَنُـــوا وَاتَّقَـــوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُـــمْ أَقَـــامُوا التَّـــوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِـــم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)**[2] وبعدها يقول – تعالى –: **(قُلْ يَـــا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّـــن رَّبِّكُمْ..)** الآية[3] .

ونداؤه (ﷺ) بوصف الرسالة في قوله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْـــكَ الَّـــذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ..)**[4] الآية. جاء كذلك في سياق الحديث عن أهل الكتـــاب.. ففي الآيـــة ذاتها يقول – تعالى –: **(.. وَمِنَ الَّذِينَ هَـــادُوا سَـــمَّاعُونَ لِلْكَـــذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ...)** الآية. وكذلك الآيات التي بعدها في ســـياق الحـــديث عن أهل الكتاب. فجاء النداء بوصف الرسالة هنا وهناك ليطمـــئن رســـول الله

---

(١) سورة غافر آية رقـــم: ٥١.

(٢) سورة المائدة آية رقـــم: ٦٥، ٦٦.

(٣) " " " " : ٦٨.

(٤) " " " " : ٤١.

(ﷺ) إلى أنَّهم لن ينالوا منه كما نالوا من أنبيائهم من قبل. وكذلك ليعلم هؤلاء أن ليس لهم إلى رسول الله (ﷺ) سبيل.

فحيث كان الأمرُ خاصاً بالتبليغ وما يلزم منه من حفظ المبلغ وعصمته أوثر النداء بوصف الرسالة. وإن كان الأمر خاصاً بجزئيات من تكاليف الرسالة وما يتصل بذلك من تنفيذ أوثر النداء بوصف النبوة. والله أعلم.

هذا عن نداء الشخص بالاسم والصفة أمَّا عن **ندائه بحالة صار إليها لمناسبة خاصة** فقد جاء ذلك أيضاً في كتاب الله – تعالى – لرسول الله (ﷺ) دون غيره..

فقد نادى اللهُ سيدَنا محمداً (ﷺ) بقوله: **(يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ)**[1] وبقوله: **(يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ)**[2] وفي الخطاب بهذين الوصفين – كما يقول البعض[3]– تأنيس له وملاطفة على عادة العرب في اشتقاق اسم للمخاطب من صفته التي هو عليها، كقوله (ﷺ) لعليٍّ (رضي الله عنه) حين رآه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب: "قم يا أبا تراب"[4].

وقد يزاد على ذلك أنَّ النداء بهذين الوصفين لرسول الله (ﷺ) قد وقعا في أوائل ما نزل من كتاب الله – تعالى– تقوية لهمته (ﷺ) وإشعاره بقرب الله منه،

---

(١) سورة المزمل آية رقم: ١.

(٢) سورة المدثر آية رقم: ١.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٠/ ٣١١، وتفسير القرآن الكريم. للشيخ محمود شلتوت ص ٩٥، ٩٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي ابن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن (رضي الله عنه)، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، باب من فضائل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

وعنايته به على كافة أحواله وشئونه (ﷺ) مما له الأثر البالغ في تحمل مشاق الدعوة، وطرح أي دافع يؤدي إلى التكاسل عنها..

ومما ينبغي التنبيه إليه: أنَّ أمته (ﷺ) داخلة فيما يتصل بندائه (ﷺ) بوصف النبوة والرسالة أو بحالة صار إليها لمناسبة خاصة من حيث القياس وغيره لا من حيث وضع اللسان أو من حيث اللفظ إذ لفظ النبي ليس مستعملا في العموم قطعاً، وهذا قول الشافعية والمالكية، خلافا لأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وأصحابهما في قولهم إنه يكون خطاباً للأمة، إلا ما دلَّ الدليل فيه على الفرق(١).

وبعد،،

فهذا – لا شك – قليلٌ من كثير عن مغزى ودلالات النداءات الإلهية في القرآن الكريم، وما اتصل به من نداء المخلوقات على سبيل المثال لا الحصر، وما قصدت إلا تقريب الصورة التفسيرية والبلاغية لأمر النداء من خلال هذا الموضوع.

فإنْ كنت أحسنت فتلك مِنَّةٌ من ربِّ العالمين (ﷻ) وإن كان ما لا أرجو فحسبي من ذلك أنِّي اجتهدت، وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق والعون..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فرغ منه بتاريخ ١٨ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ الموافق ٢ / ٩ / ٢٠١٥ م

(١) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام ٢ – ٢٧٩. لـ/ علي بن محمد الآمدي. ط/ دار الكتاب العربي – بيروت – ط: أولى، ١٤٠٤هـ، والتقرير والتحبير ١ – ٢٢٤. لـ/ ابن أمير حاج. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ٢ – ٢٦.لـ/ الشيخ/حسن العطار. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون طبعة وبدون تاريخ.

المصادر والمراجع

* إجابة السائل شرح بغية الآمل. لـ/ محمد بن إسماعيل الصنعاني. ط/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: أولى، ١٩٨٦م.

* الإحكام في أصول الأحكام. لـ/ علي بن محمد الآمدي. ط/ دار الكتاب العربي– بيروت– ط: أولى، ١٤٠٤هـ.

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. للإمام أبي السعود. ط – دار إحياء التراث العربي– بيروت – الرابعة ١٤١٤هـ –١٩٩٤م.

* إرشاد الفحول. لـ/ محمد بن علي الشوكاني. ط: دار الكتاب العربي– ط: أولى١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

* الأساليب الإنشائية في النحو العربي / عبد السلام هارون – ط – دار الجيل – بيروت ١٤١٠ هـ–١٩٩٠م.

* الأصلان في علوم القرآن. لـ أ. د. محمد عبد المنعم القيعي. ط: الرابعة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م. بدون.

* الإنصاف في مسائل الخلاف. لـ/ عبد الرحمن بن محمد الأنباري. ط – دار الفكر.

* أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير الإمام البيضاوي. ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط، أولى– ١٤١٨هـ.

* بحر العلوم. لـ/ نصر بن محمد السمرقندي. ط / دار الفكر – بيروت.

* البحر المحيط. لـ/أبي حيان الأندلسي. ط / دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠ هـ.

* البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي. مكتبة دار التراث – القاهرة.

* بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز لـــ/ الفيروزآبادى. ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التــراث الإســلامي، القــاهرة ١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م.

* البلاغة العربية لـــ/ عبد الرحمن حَبَنَّكَة. ط– دار القلم. بيــروت – ط: أولى١٤١٦هـــ – ١٩٩٦م.

* بيان المعاني. لـــ/ عبد القادر بن ملاَّ حويش السيد محمــود آل غــازي العاني. ط/ مطبعة الترقي – دمشق – ط: أولى، ١٣٨٢هـــ – ١٩٦٥م.

* تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) لأبي منصور الماتريدي. ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – ط، أولى، ١٤٢٦هـــ – ٢٠٠٥م. تحقيق: د/ مجــدي باسلوم.

* التأويل اللغوي في القرآن الكريم "دراسة دلاليــة"، د / حــسين حامــد الصالح – دار ابن حزم – صنعاء بدون.

* التحبير شرح التحرير في أصول الفقه.لـــ/ علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان الحنبلي. ط/ مكتبة الرشد – الرياض ط/ ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م.

* التحرير والتنوير. لـــ/ الشيخ محمــد الطــاهر بــن عاشــور. ط / دار سحنون – تونس – ١٩٩٧م.

* تفسير القرآن. للشيخ/ العز بن عبد السلام. ط/ دار ابن حزم – بيروت، ط / أولى: ١٤١٦ هـــ– ١٩٩٦م.

* تفسير الراغب الأصفهاني. ط/ كلية الآداب – جامعة طنطا، ط – أولى: ١٤٢٠هـــ – ١٩٩٩م. تحقيق ودراسة: د– محمد عبد العزيز بسيوني. وطبعة/ دار الــوطن– الرياض. ط/أولــى١٤٢٤هـــــ– ٢٠٠٣م. تحقيــق: د/عــادل بن علي الشِّدِي.

* تفسير الإمام المراغي. ط – مصطفى البابي الحلبي. ط/ أولى، ١٣٦٥هـ– ١٩٤٦م.

* تفسير القرآن الكريم. للإمام الشيخ / محمود شلتوت. ط – دار الشروق، ط – الثانية عشرة ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م.

* تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم. د/ زغلول النجار. ط/مكتبة الشروق الدولية، ط–أولى ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م.

* تفسير سورة الممتحنة "دراسة تحليلية" د/ عبد البديع أبو هاشم محمد ص ٥٢، ٥٣ / ط/ أولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – بدون ذكر اسم المطبعة.

* التفسير الوسيط للقرآن الكريم. د: محمد سيد طنطاوي. ط: دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة، ط: أولى، ١٩٩٨م.

* التفسير القرآني للقرآن. د– عبد الكريم يونس الخطيب. ط / دار الفكر العربي – القاهرة.

* التفسير التحليلي لسورة النساء لـ/ أ. د– إبراهيم عبد الرحمن خليفة. مطبعة الفجر الجديد– الأولى١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

* التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ط / شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – ط/ أولى ١٤١٦هـ.

* التقرير والتحبير. لـ/ ابن أمير حاج. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الثانية،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

* جامع البيان في تفسير القرآن للإمام الطبري. ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ أولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ط – دار عالم الكتب – الرياض – المملكة العربية السعودية، ط / ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

* حاشية الصبان على الأشموني. مكتبة الصفا – ط: أولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

* حاشية الخضري على ابن عقيل. ط – الحلبي.

* حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي. ط– جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٥م.

* حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع.لـ/ الشيخ/ حسن العطار. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

* حجة القراءات لـ/ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة. ط– مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.

* الحلل في شرح أبيات الجمل. لـ/ عبد الله بن محمد البطليوسي.ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط/ أولى ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لـ/ أبي نعيم الأصبهاني. ط / دار الكتاب العربي – بيروت.

* خزانة الأدب. لـ/ عبد القادر عمر البغدادي. ط – دار الكتب العلمية – بيروت.

* خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. لـ / د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني. مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للإمام / السيوطي. ط – دار الفكر – بيروت.

* روح البيان. لـ/ إسماعيل حقي. ط / دار الفكر – بيروت.

* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي ط– دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ.

* الرسالة. للإمام الشافعي ط/ مكتبه الحلبي – مصر – ط: أولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

* الزهد والرقائق. لابن المبارك.ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، وابن أبي حاتم في تفسيره ١ – ١٩٦. ط / المكتبة العصرية – بيروت.

* السراج المنير. للإمام: محمد بن أحمد الشربيني الخطيب. ط / مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.

* السنن الزكية في الفضائل النبوية. د / سعد سعد جاويش / ط / دار عطوة للطباعة ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.

* شرح قطر الندى وبل الصدى. لابن هشام الأنصاري، ومعه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لـ/ محمد محي الدين عبد الحميد. ط/ المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ – ٢٥٦ ط – دار التراث – القاهرة.ط: العشرون ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

* صحيح البخاري. ط – دار ابن كثير – بيروت – الثالثة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م.

* صحيح مسلم. دار الغد ـ الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

* عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي. لـ/ شهاب الدين الخفاجي. ط/ دار صادر – بيروت.

* غرائب القرآن ورغائب الفرقان. للإمام/الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري.ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى – ١٤١٦هـ.

* فتح البيان في مقاصد القرآن. لـ/ محمد صديق خان القنوجي. ط/ المَكتبة العصريَّة – بَيروت، ط/١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

* فتح الخبير في أدوات التفسير لـــ – أ. د – سيد مرسي إبـــراهيم – ط / أولى ١٤٠٧هـــ – ١٩٨٧م.

* فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن. للإمام / زكريا الأنصاري، ط/ دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان.

* فتح القدير. للإمام / محمد بن علي الشوكاني ط: دار ابن كثير، بيـــروت – ط: أولى–١٤١٤هـــ.

* الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية. لـــ/ نعمة الله بن محمود النخجواني (ت: ٩٢٠هـــ) ط/ دار ركابي– الغوريـــة، مصر– ط: أولى، ١٤١٩هـــ–١٩٩٩م.

* في ظلال القرآن. للأستاذ / سيد قطب. ط / دار الشروق – بيـــروت – القاهرة، ط: ١٧ – ١٤١٢هـــ.

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيـــون الأقاويـــل فـــي وجـــوه التأويـــل للزمخشري. ط / دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – ١٤٠٧هـــ.

* لباب التأويل في معاني التنزيل. للإمام الخازن. ط: دار الكتب العلمية – بيروت – ط: أولى– ١٤١٥هـــ.

* لباب النقول في أسباب النزول. للإمام السيوطي ط/ دار الكتب العلميـــة بيروت – لبنان.

* اللباب في علوم الكتاب. لابن عادل الحنبلي. ط/ دار الكتب العلميـــة – بيروت – ط: أولى، ١٤١٩هـــ –١٩٩٨م.

* محاسن التأويل "تفسير القاسمي". ط/ دار الكتب العلميه – بيروت – ط: أولى – ١٤١٨هـــ.

* المحرر الوجيز. للإمام / ابن عطية الأندلسي ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: أولى– ١٤٢٢هـ.

* مختصر المعاني. لـ / للعلامة التفتازاني. ط– دار الفكر– ط: أولى ١٤١١هـ.

* مدارك التنزيل وحقائق التأويل"تفسير النسفي"ط– دار الكتب العلمية – بيروت– ط– الأولى١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

* المطول للعلامة التفتازاني. ط – دار الكتب العلمية – بيروت.

* معالم التنزيل في تفسير القرآن . للإمام البغوي. ط/ دار طيبة – ط: الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

* معاني القراءات. لـ/ محمد بن أحمد الأزهري، ط– دار الكتب العلمية– بيروت– الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

* معاني التراكيب د/ عبد الفتاح لاشين. ط / دار الطباعة المحمدية، بدون تاريخ.

* مغني اللبيب. لـ/ ابن هشام. ط – المكتبة العصرية – بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

* مفتاح العلوم . للسكاكي. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط: ٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

* مفاتيح الغيب للإمام الرازي. ط – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط – الثالثة –١٤٢٠هـ.

* المفردات في غريب القرآن. للراغب الأصفهاني. ط: دار القلم– بيروت، ط: أولى–١٤١٢هـ.

* من أسرار التعبير القرآني "دراسة تحليلية لسورة الأحزاب". د / محمد محمد أبو موسى. الناشر / مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

* الموافقات في أصول الفقه. للإمام الشاطبي دار المعرفة – بيروت. تحقيق / عبد الله دراز.

* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. لـ/ برهان الدين البقاعي. ط / دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

* الوسيط في تفسير القرآن المجيد. للإمام الواحدي. ط / دار الكتب العلمية – بيروت – ط / أولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

* الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره. لـ/ مكي بن أبي طالب. ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – ط: أولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

الفهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* **المقدمة**	٣
* **الفصل الأول:** تعريف النداء وبيان بلاغته	٥
* **المبحث الأول:** تعريف النداء وأدواته	٧
* **المبحث الثاني:** بيان سرّ مجيء النداء في القرآن الكريم بـ(يا)، وسرّ حذفها في بعض المواضع من القرآن الكريم	١١
* **المبحث الثالث:** بيان معنى "أيْ "وحكمة ذكره في النداء، وكذا "ها "التنبيه وحكمتها...	٢٠
* **الفصل الثاني:** أنواع النداءات الإلهية في القرآن الكريم ومغزاه	٢٧
* **المبحث الأول:** النداء التكويني	٢٩
– نداء الأرض والسماء	٣٩
– نداء نار إبراهيم (عليه السلام)	٣٥
– نداء الجبال	٣٨
* **المبحث الثاني:** النداء التكليفي	٤٠
* **المطلب الأول:** نداء الناس جميعاً	٤٠
– نداء العام المراد به الخصوص	٤١
– نداء الناس بلفظ الواحد النداء بوصف البنوة	٤٣
* **المطلب الثاني** : نداء الشعوب	٥٠
* **المطلب الثالث:** نداء الطوائف	٥٥

- نداء طائفة اليهود والنصارى	٥٥
- نداء طائفة المؤمنين	٥٨
- نداء طائفة المؤمنين بإضافتهم إلى المتكلم (ﷻ)	٦١
- نداء طائفة المؤمنين بوصف (أولي الألباب)	٦٣
- نداء طائفة المؤمنين بوصف (أُوْلِي الأَبْصَارِ)	٦٤
- نداء أنفس المؤمنين الزكية	٦٥
المطلب الرابع: نداء الجماعة المحدودة العدد	٦٦
المطلب الخامس: نداء الأفراد أو الأشخاص	٦٩
- النداء بالصفة	٦٩
- نداء النبي (ﷺ) بوصف النبوة والرسالة	٧١
- نداء الشخص بحالة صار إليها	٧٢
- أهم المراجع	٨١
- فهرس الموضوعات	٨٩